الخصائص الفنية في أدب الفقيه

عبد المجيد الشرنوبي ت١٩٢٩ م

دراسة تحليلية نقدية

Artistic characteristics in the literature of the jurist
Abdul Majeed Al-Sharnoubi d. 1929 AD
An analytical and critical study

إعداد

أ.د.م محمد توفيق حرحش

أستاذ مساعد كلية التربية جامعة دمنهور

الخصائص الفنية في أدب الفقيه عبد المجيد الشرنوبي ت١٩٢٩ م دراسة تحليلية نقدية

محمد توفيق حرحش

قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة دمنهور، مصر

البريد الالكتروني: harhash@gmail.com

الملخص :

مما لا شك فيه أن تناول الباحث لشخصية أدبية غير مشهورة بالبحث والدراسة يعد سلاحا ذو حدين ؛ أما الحد الأول فيتمثل في عزوف المتلقيين عن قراءة البحث وخاصة الذين جبلوا علي الإقبال على الشخصيات المشهورة . أما الحد الثاني فيتمثل في أن المهمة الحقيقية للباحث تتمثل في تسليط الضوء على الشخصيات والقضايا التي لا يدركها جمهور المتلقيين ولعله هنا تكمن القيمة الحقيقية للبحث . وإن كانت مجازفة . أن يضيف ، ويسلط الضوء على شخصيات وقضايا ويطرق أبوابا لم يسبق لها وأن طرقت .

وشخصية الدراسة في هذا البحث تتمثل في الفقيه عبد المجيد الشرنوبي أحد أئمة الأزهر وأحد رواد حركة التنوير والذي أسهم مع الإمام محمد عبده في إنشاء صحيفة الوقائع المصرية كما ترك مجموعة . غير قليلة . من الأعمال الفنية والدراسات والشروح . غير أننا في هذا البحث سوف نقف بالبحث والدراسة عند عملين فقط من أعماله.

الكلمات المفتاحية : الخصائص ، الفنية ، الفقهية ، عبد المجيد الشرنوبي .

Artistic Characteristics in the Literature of Faqih Abdul Majeed Al-Sharnoubi d. 1929 AD An Analytical Critical Study

Mohamed Tawfiq Harhash
Department of Arabic Language, Faculty of Education, Damanhour University, Egypt
Email: harhash@gmail.com

Abstract:
There is no doubt that the researcher's study and research of an unknown literary figure is a double-edged sword; the first limit is represented by the reluctance of recipients to read the research, especially those who are accustomed to accepting famous figures. The second limit is represented by the fact that the real mission of the researcher is to shed light on figures and issues that the audience of recipients is not aware of, and perhaps here lies the real value of the research - even if it is a risk - to add, shed light on figures and issues and knock on doors that have never been knocked on before.
The character of the study in this research is represented by the jurist Abdul Majeed Al-Sharnoubi, one of the imams of Al-Azhar and one of the pioneers of the Enlightenment movement, who contributed with Imam Muhammad Abduh in establishing the Egyptian Gazette, and he also left a group - not a few - of artistic works, studies and explanations. However, in this research, we will stop at research and study only two of his works.

Keywords: Characteristics, Artistic, Jurisprudential, Abdul Majeed Al-Sharnoubi.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

مما لا شك فيه أن تناول الباحث لشخصية أدبية غير مشهورة بالبحث والدراسة يعد سلاحا ذو حدين ؛ أما الحد الأول فيتمثل في عزوف المتلقيين عن قراءة البحث وخاصة الذين جبلوا علي الإقبال على الشخصيات المشهورة . أما الحد الثاني فيتمثل في أن المهمة الحقيقية للباحث تتمثل في تسليط الضوء على الشخصيات والقضايا التي لا يدركها جمهور المتلقيين ولعله هنا تكمن القيمة الحقيقية للبحث . وإن كانت مجازفة . أن يضيف ، ويسلط الضوء على شخصيات وقضايا ويطرق أبوابا لم يسبق لها وأن طرقت .

وشخصية الدراسة في هذا البحث تتمثل في الفقيه عبد المجيد الشرنوبي أحد أئمة الأزهر وأحد رواد حركة التنوير والذي أسهم مع الإمام محمد عبده في إنشاء صحيفة الوقائع المصرية كما ترك مجموعة . غير قليلة . من الأعمال الفنية والدراسات والشروح . غير أننا في هذا البحث سوف نقف بالبحث والدراسة عند عملين فقط من أعماله ؛ وهما :

١. تحفة العصر الجديد، ونخبة الأدب المفيد.

٢. ديوان خطب .

وقد حاولت في هذا البحث الإجابة على عدد من التساؤلات ؛ أهمها :

. ما المنهج الذي التزم به الفقيه الشرنوبي في تأليفه ؟

. ما أهم السمات الفنية التي تحققت في المؤلفين محل الدراسة ؟

. ما أهم الجوانب الفنية التي أبدع فيها الشرنوبي ؟

. هل تركت دراسته الأزهرية بصمة على إنتاجه الفني ؟

ومن أجل الوصول للإجابة عن هذه التساؤلات عمدت في بحثي إلى استخدام المنهج الوصفي التحليلي وقسمت البحث مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وأخيرا ثبت بالمصادر والمراجع ؛ على النحو الآتي :

المقدمة : تناولت فيها أهمية الموضوع والتساؤلات التي يجيب عنها البحث والمنهج المتبع في كتابة البحث .

التمهيد : عرضت فيه نبذة عن حياة الشرنوبي والكتب التي ترجمت له وأهم أعماله ومؤلفاته وشروحه

المبحث الأول : تناولت فيه بالشرح والدراسة كتاب الشرنوبي (تحفة العصر الجديد ، ونخبة الأدب المفيد) مبينا أهم سماته الفنية ومنهجه المتبع في الكتابة .

المبحث الثاني :تناولت كتابه (ديوان خطب) وهو عبارة عن مجموعة من خطب كتبها بأسلوبه وقد وقفت فيه عند كل خطبة وعرضت فيها منهجه وأهم السمات الفنية التي تحققت فيها .

خاتمة : عرضت فيها أهم النتائج التي توصلت لها

ثبت بالمصادر والمراجع .

وأخيرا وبالرغم من صعوبة الوصول لهذين المؤلفين فقد دفعني الاهتمام للبحث عنهما والوصول لهما ودراستهما دراسة فنية تحليلية وبعد فما كان من توفيق فمن الله . تعالى . وما كان من تقصير فمني ، والله الموفق .

تمهيد

حياة الفقيه عبد المجيد الشرنوبي وآثاره

التاريخ الهجري... – ١٣٤٨ التاريخ الميلادي ... – ١٩٢٩

مما لا شك فيه أن تعدد كتب التراجم التي ذكرت الشرنوبي وأرخت له يعكس القيمة العلمية التي تمتع بها ، كما يؤصل العلم الوفير الذي خلفه وراءه ؛ حيث تحفظ له هذه التراجم عددا لا يستهان به من المؤلفات ؛ فمن ذلك ما جاء عنه في الأعلام والخزانة التيمورية ؛ أن الشرنوبي" فقيه مالكي مصري أزهري. له كتب، منها " شرح مختصر ابن أبي جمرة – ط " في الحديث، و"المحاسن البهية على متن العشماوية – ط " في فقه المالكية، و" الكواكب الدرية على متن العزية – ط "و" تقريب المعاني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني –ط " و" إرشاد السالك إلى ألفية ابن مالك – ط " و" شرح الأربعين النووية – ط " و" تحفة العصر الجديد ونخبة النصح المفيد – ط "و" ديوان خطب – ط " مثلث السجعات، وآخر مربع السجعات والرابعة آية، و"شرح حكم ابن عطاء الله السكندري – ط " و" مختصر كتاب الشمائل

المحمدية – ط " [١] . وكذلك وردت ترجمته في كتب أخرى مثل : معجم المطبوعات ، وشجرة النور ، ومعجم الشيوخ .

ولم يقف ذكره عند كتب التراجم فحسب ؛ بل جعله أحد الباحثين رائدا من رواد التنوير وعلامة بارزة من علامات الأزهر الشريف ؛ إذ يذكر صاحب كتاب (الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة) أن مولد الفقيه الشرنوبي كان في " شرنوب إحدى قرى البحيرة " [٢] . كما ذكر صاحب الكتاب تنقل الفقيه من مكان لآخر من أجل طلب العلم ؛ حتى وجد ضالته المنشودة في العالم الفذ " الشيخ حسن العدوي، فتلقى عنه فقه الإمام، واستمع له وهو يدرس شرح الزرقاني على متن العزية، ولما طلب الحاشية من أستاذه لينسخها بخطه – وكان ذا خط جميل رشيق– امتحنه الشيخ، فألقي خطه منظما وحروفه منمقة، ووجده متمكنا في الفقه والنحو على الرغم من صغر سنة، وأنه في بداية الطريق، وهنا يفصح الشيخ عن إعجابه بالتلميذ الناشيء، وعن حبه له وإقباله عليه، فيقول له: أنت قد ساقك الله إلينا ومحفظتنا هي محفظتك، فانقل منها ما تريد، وقد أذنتك أن تكون القارئ لنا في جميع دروسنا.. ويمضي الأستاذ العدوي في تشجيع تلميذه النجيب، فيقول له: لله علي نذر إن تمت الحاشية التي تكتبها على شرح الزرقاني "[٣].

كما يذكر صاحب الكتاب اتصاله بكبار العلماء في عصره من أمثال جمال الدين الأفغاني ؛ حيث يقول " قد كانت هذه المواهب بداية ناهضة ظهر بعدها تملؤه من العلم، وتمكنه من فنونه، حتى صح أن يلقبه السيد جمال الدين الأفغاني "بالسنجق"، وهي كلمة تركية يقصد بها أنه علم فيما يتلقاه عنه من

١ خير الدين الزركلي : الأعلام.. ، دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشرة ، مايو ٢٠٠٢، جـ ٤ صـ ١٤٩ ، وأحمد تيمور: الخزانة التيمورية مطبعة دار الكتب المصرية جـ٣ صـ ١٦١

٢ محمد كامل الفقي : الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة ، المطبعة المنيرية بالأزهر الشريف ، جـ ٢ الطبعة الأولي ١٩٥٦صـ ١٥١

٣ المرجع السابق صـ ١٥٢

العلم، فلم يكن عجبا أن يكون بهذه المثابة، وهو تلميذ السيد جمال الدين،"[١]. ولذلك جعله الباحث ضمن كبار الشخصيات الأزهرية التي تركت تأثيرا كبيرا في النهضة الأدبية (الشيخ محمد عبده . الشيخ عبد الكريم سلمان . الشيخ عبد المجيد الشرنوبي . المنفلوطي . الشيخ محمد شاكر) . ويذكر صاحب الكتاب **أشهر مؤلفاته:**

" ١- شرح مختصر البخاري.
٢- شرح الأربعين النووية.
٣- مختصر الشمائل المحمدية للترمذي.
٤- مناهج السعادات على دلائل الخيرات.
٥- ديوان خطب مربع السجعات.
٦- ديوان خطب آخر مثلث السجعات.
٧- تحفة العصر الجديد، ونخبة الأدب المفيد.
٨- إرشاد السالك على ألفية ابن مالك في النحو والصرف.
٩- المحاسن البهية على متن العشماوية.
١٠- الكواكب الدرية على متن العزية.
١١- تقريب المعاني على رسالة أبي زيد القيرواني.
١٢- مختصر الصحيح والحسن من الجامع الصغير.
١٣- دلالة السالك على أقرب المسالك.
١٤- مناهج التسهيل على متن سيدي خليل.
١٥- مناهج التيسير على مجموع العلامة الأمير.
١٦- شرح حكم ابن عطاء الله السكندري.
١٧- شرح تائية السلوك لأحمد عرب الشرنوبي. " [٢]

١ المرجع السابق صـ ١٥٥
٢ المرجع السابق صـ ١٥٧

منزلته الأدبية:

لم يقف الأمر عند هذا الكم الهائل من المؤلفات التي كتبها الفقيه الشرنوبي فحسب ، بل يعد " أحد دعائم النهضة الأدبية في العصر الحاضر، فقد أسهم في بناء المجد الصحفي الأول في النهضة الحديثة، "صحيفة الوقائع المصرية"، إذ كان ذلك أول أعماله التي قام بها مع الإمام محمد عبده، وقد أتاح له عمله في مكتبة الأزهر الاطلاع على الأسفار الأدبية، وأن يتأثر بأساليبها، وينهج نهج من حفلة المكتبة بتراثهم الأدبي الخالد، فنضجت بذلك موهبته، وأشرق أسلوبه، ونمت ملكته في الشعر، وأغرم بالمطارحات والمعارضات، حتى ترك لنا من ذلك ثروة تجعله من طلائع الأدباء الشعراء." [١] . ومما سبق يتضح اتصال عبد المجيد الشرنوبي بكبار العلماء في عصره ، بل ومشاركته إياهم في أعمالهم الكبرى خاصة في جريدة الوقائع الأدبية التي زخرت بنصوص شعرية من تأليفه .وهنا نحب أن نجدد هدفنا في التركيز على عملين من أعماله الأدبية وهما :

١. تحفة العصر الجديد، ونخبة الأدب المفيد.

٢. ديوان خطب .

المبحث الأول

السمات الفنية في كتاب

تحفة العصر الجديد، ونخبة الأدب المفيد

يتضمن هذا الكتاب . كما يتضح من عنوانه . مجموعة من الأقوال والأشعار التي تتضمن أهدافا وفوائد يستفيد منها الإنسان ، سواء كانت هذه الأشعار من تأليف الفقيه الشرنوبي نفسه ، قد فاضت بها قريحته وجادت بها موهبته ، أو اختارها الشرنوبي من معرفته العميقة بالشعر العربي، وثقافته العريضة بتاريخ الأدب العربي . وقد أعلن الشرنوبي عن هدفه من تأليف هذا الكتاب قائلا بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسول الله . صلى الله عليه وسلم . :

---

١ المرجع السابق صـ ١٥٨

" هذه طُرفةُ بهيّة أُنسٍ قدْ تجلَّتْ بها وجوهُ المحجَّه
في خِباها تجاربُ وخبايا ما حواها ولا رآها ابن حجّه

وسببها أنه لما قويت شوكة الكير والنفاق ،وعظمت سوْرة الرياء ومساوئ الأخلاق ، وتخلق كثير من الناس بالأخلاق الذميمة ، وأظهروا التجاهر بالتحاسد والغيبة والنميمة ، وأمرضوا القلوب بإضمار النفاق ، وصاروا عن الحق معرضين ، وأطلقوا ألسن الكذب والشقاق في مضمار السباق مع الغافلين . أردت أن أورد نزرا مما ورد في هذه الأخلاق القبيحة لأرد حياض امتثال قوله . صلي الله عليه وسلم . الدين النصيحة فجمعت في هذه الرسالة ما تقر به العيون ، ليتنافس في مسامرتها المتنافسون

فكم بها في خلال القول من درٍ تُضيءُ من حكمةِ الإشراقِ في الظُّلَمِ
وكم بها قدْ تجلَّ الحقُّ مُنْكشفا والحق يظهر منْ معنىً ومن كلمِ

وقد حذرت فيها من التعويل في أخلاق الرجال على الظواهر قبل حصول يقين المعرفة باختبار السرائر ، ورغبت فيها عن الخلطة بأشرار الأنام ورجحت العزلة عنهم خوف ارتكاب الآثام "[١] وبهذا يتضح الهدف الرئيس من الكتاب ؛ وهو التحذير من الأخلاق الذميمة لبعض الناس من حسد وغيبة ونميمة ونفاق وكذب وغفلة عن الآخرة للعمل بحديث الرسول . صلي الله عليه وسلم . : " الدين النصيحة " . وهو لا يعرض هذه الأخلاق المذمومة في أسلوب جاف ، ولكن يسردها في أسلوب أدبي شائق ، ويكسوها بحلية فنية بديعة ، ويصقلها بآيات من القرآن الكريم ، ويهذبها بأحاديث الرسول الجليل . صلي الله عليه وسلم . ويزينها بأبيات من الشعر الفصيح سواء من تأليفه أو من عيون الشعر العربي القديم والحديث .

والمؤلف يفتخر بعمله الفني واصفا إياه بالطرفة ؛ وهو يذكر المقصود بالطرفة على هامش الصفحة قائلا أنه ما يستملح من الأمر . ثم يصف ما يتضمنه عمله الفني من محجة أي الغايات والمقاصد ، وما يتضمنه من خبايا عجز عن إدراكها الشاعر المشهور ابن حجة الحموي . وبعد أن يعدد بعض

١ عبد المجيد الشرنوبي : تحفة العصر الجديد، ونخبة الأدب المفيد ، مطبعة بولاق الأميرية ط٢ ١٣١٦ هـ صـ ٤، ٥

الأغراض الذي يتناولها في هذا العمل الفني يعود ثانية ليفتخر بما يتضمنه هذا العمل من أقوال كالدرر التي تتجلى فيها الحكم فتضيء في الظلام ، ويتضح الحق من براثن الضلال .

وهنا يبدأ الخلط ، ويظهر التباين ، فيبرز على السطح سؤال مفاده ؛ على أي أساس اختار الشيخ أبياته ، هل لما تضمنته من وعظ وإرشاد ؟ أم لما تضمنته من موهبة فنية وإبداع ؟ . وهنا يحضرني قول الجاحظ ؛ : " وأنا رأيت أبا عمرو الشيباني ، وقد بلغ من استجادته هذين البيتين :

لا تحسبن الموت موت البلى فإنما الموت سؤال الرجالِ

وكلاهما موت ولكنّ ذا أشدُّ من ذاك لذل السؤالِ

وذهب الشيخ إلى استحسان المعاني ، والمعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع ، وجودة السبك ، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج ، وجنس من التصوير " [١] . ونحن لن نستبق الأحداث فنتسرع في الحكم على هذا العمل الفني من مجرد قراءة المقدمة ، ولندع الحكم بعد تصفح الكتاب وإخضاعه لمقاييس العمل الفني .

قسّم المؤلف كتابه مجموعة فصول ؛ كل فصل له عنوان وتحت العنوان يضع المؤلف أبياتا من تأليفه ويستشهد بأبيات شعرية وأقوال مشهورة من عيون تاريخ الأدب العربي وهو في كل فصل يصل المعاني بعضها ببعض بأسلوب أدبي يغلب عليه السجع ،والتأثر بألفاظ القرآن الكريم واقتباس المعاني من القرآن الكريم والحديث الشريف . ونحن هنا نقف عند كل فصل لندرك كيف سرد فكرته ، وكيف ربط بين العنوان والموضوع ، وطرق استشهاده على فكرته .

١. فصل في الاحتراس من أشرار الناس :

يقول الشرنوبي :

١أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان تحقيق عبد السلام هارون ط٢، ١٩٦٧م جـ٦- صـ ٢٢٥، ٢٢٦.

" أتيْتُ بالنصحِ والتحذير من فئة وإنني عارف بالدار والجـــارِ
عساكَ تسْمعُ نُصْحي غيرَ متّهـم فتملأ السمعَ منْ وعْظي وإنذاري

أيها الراغب في معالم المعارف، الطالب لمطالب العوارف، قد أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين، فشنف سمعك بما ألقه إليك، ولا تكن من الغافلين، وأول ما أبديه إليك، وألقي معانيه عليك، ألا تحسن الظن بإنسان، إلا بعد التجربة والامتحان، ولا تثق بسماع أخباره، قبل نقده واختباره، فإني رأيتك قد عولت على ظواهر الرجال، فلم تتفقد ما هم عليه من تقلبات الأحوال. وهذا الشأن كان محمود العواقب حيث الإخلاص في السلف الصالح الأكثر الغالب . إذ الناس ناسٌ والزمان زمان . وأما الآن :

فأكثر من تلقى يســـرك قولـــه ... ولكن قليل من يسرك فعله
وقد كان حسن الظن بعض مذاهبي ... فأدبني هذا الزمان وأهله " [١]

يبدأ المؤلف موضوعه ببيتين شعريين من تأليفه ، وقد افتتح البيتين بقوله (أتيت) والكلمة تتضمن معاني التقديم والعطاء كما تتضمن معنى الحضور ، ثم يخصص الإتيان هنا بقوله (بالنصح والتحذير) ، وهنا يضع المؤلف نفسه موضعا أعلى من المستمع فهو العارف بالأمور ، والجامع للمعارف ، والخبير بالجار والدار ، ومن قبل قد عظم من شأن هذا الكتاب حتى أن الشاعر ابن حجة الحموي لا يستطيع معرفة أسراره .

وهو في مضمار تعظيم كتابه والتأكيد على ما يحتويه من معارف ونصح وتحذير نجده يستخدم الاستعارة في قوله (أتيت بالنصح) حيث شبه النصح بشيء مادي يأتي وحذف هذا الشيء المادي وأتي بشيء من لوازمه وهو الإتيان . كما استخدم المؤلف الجناس الناقص في قوله (الجار . الدار) ؛ ليدلل على معرفته وإحاطته بخبايا كل الأمور، كما استخدم الاستعارة في قوله (فتملأ السمع من وعظي) حيث شبه السمع بإناء يمتلئ وحذف الإناء وأتى بشيء من لوازمه وهو قوله (تملأ) كما شبه الوعظ بشيء مادي يمكن وضعه في إناء . وهكذا حفل البيتان بأنواع من الصور التي تسير كلها في اتجاه واحد وهو الفخر بنفسه وبكتابه .

---

١ عبد المجيد الشرنوبي : تحفة العصر الجديد، ونخبة الأدب المفيد مرجع سابق صـ ٥ ، ٦

وبعد أن يمهد المؤلف لنفسه في البيتين السابقين ويفتخر بمقدرته على سبر الأغوار ؛ يبدأ في الجانب النثري مستخدما أداة النداء(أيها) للتنبيه وجذب الانتباه ، ثم يكرر الفكرة السابقة من إحاطته بالأخبار والمعارف حيث يقول : " قد أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين " محاكيا بذلك الأسلوب القرآني في قوله . تعالى . : (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ)[١] . وبعد أن يشعر المؤلف بأنه قد أقنع المتلقي بقدرته الفائقة على سبر الأغوار يبدأ في تقديم النصائح مستخدما في ذلك أسلوب السجع ؛ ومن تلك الجمل قوله :

. أيها الراغب في معالم المعارف، الطالب لمطالب العوارف

. وأول ما أبديه إليك، وألقي معانيه عليك

. ألا تحسن الظن بإنسان، إلا بعد التجربة والامتحان

. فإني رأيتك قد عولت على ظواهر الرجال، فلم تتفقد ما هم عليه من تقلبات الأحوال

وهكذا يسير الكاتب في أسلوبه لنهاية هذا الفصل ؛ الذي يتضمن التحذير من إطلاق حسن الظن بالناس دون تجربة وامتحان .ثم يختتم الشاعر نصيحته ببيتين من تأليفه ؛ حيث يقول :

فأكثر من تلقى يسرك قوله ... ولكن قليل من يسرك فعله

وقد كان حسن الظن بعض مذاهبي ... فأدبني هذا الزمان وأهله

يؤكد الشاعر في البيتين على فكرته التي سردها من ضرورة الحذر والاحتراس في التعامل مع البشر . وبعد أن يسرد الكاتب فكره مستعينا بأبيات شعرية من تأليفه تبدأ المرحلة الثانية من الإقناع ؛ يحاول الكاتب فيها البرهنة على صدق حديثه ، ومنطق كلامه فيجمع من عيون الشعر العربي ما يوافق فكره ويؤيد رأيه من ذلك ما ينسب لبعضهم قوله :

" **وشيئان معدومان في الأرض درهمٌ حلالٌ وخلٌّ في الحقيقة ناصحُ**

وكذلك قول بعضهم

لا أشْتكي زمني هذا فأظلمه وإنما أشتكي من أهل ذا الزمنِ

---

١ سورة النمل آية رقم ٢٢

هم الذئابُ التي تحت الثياب فلا تكن إلى أحد منهم بمؤتمــنِ "[١]

ومما لا شك فيه أن عدم توثيق معظم الأشعار التي استشهد بها يعد مأخذا عليه ؛ فلا هو ذكر قائلها ولا ذكر المصدر الذي جلب منه الأبيات مما يضعف قوة الاستشهاد ، ويقلل من قيمة الكتاب . ولقد كان في إمكان المؤلف أن يجعل من كتابه موسوعة أدبية إذا ما وثق هذه الأشعار ولكن لا أعلم سبب عدم اعتماده لتوثيق أشعاره.

ولا يكتفي المؤلف بذكر الأشعار فحسب بل يلجأ للاستشهاد بأقوال القدماء من الأدباء والشعراء والمؤرخين والمربين ؛ ففي نفس الفصل يذكر المؤلف قول الإمام القرافي في كتابه الدر النفيس " اعلم أن الثقة بكل أحد عجز ، وما كل أحد يستحق أن يعاشر أو يصاحب " [٢] . كما يستشهد بقول علقمة بن لبيد يوصي ولده " يا بني إن احتجت إلى صحبة الرجال فاصحب من إن صحبته زانك ، وإن أصابتك خصاصة أعانك ، وإن قلت سدد قولك ، وإن صلت قوّى صولتك.."[٣]و المؤلف هنا يذكر أصحاب الأقوال ويحدد أسماء كتبهم وليته سار على هذا النهج في كل اقتباساته .

٢. فصل في زيادة الترغيب في العزلة عن الأشرار خيفة ارتكاب الأوزار :

يبدأ الشرنوبي هذا الفصل ببيتين من الشعر ؛ يقول فيهما :

" الناسُ بحرٌ عميقٌ والبعد عنهمْ سفينه

وقدْ نصحتكَ فانظر لنفسكَ المسْكينه "[٤]

يبدأ الكاتب البيتين بتشبيه في الشطر الأول ؛ حيث يشبه الناس بالبحر العميق ، كما يشبه في الشطر الثاني البعد عنهم بالسفينة ، وهو في كلا التشبيهين يحذر من الاقتراب من الناس كالحذر من البحر العميق فمن يحاول التعمق في البحر قد يغرق فيه .

---

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٦

٢ المرجع السابق صـ ٨

٣ المرجع السابق صـ ٨

٤ نفسه صـ ١٢

إذن الكاتب بدأ كتابه بفصل من الاحتراس من أشرار الناس ، وبعد أن عدد شرورهم وأطماعهم ، انتقل الكاتب للحديث عن الابتعاد عن الناس جملة وتفصيلا ، وانبرى يستشهد بأشعار تنصح بالبعد عنهم ؛ فمن ذلك قول بعضهم :

"خذ عن الناس جانبا وارْض بالله صاحبا
قلِّب الناس كيف شئـ ـت تجدهم عقاربا "[١]

ويذكر نصائح بعض الشخصيات المشهورة في التاريخ العربي ؛ فمن ذلك قوله :" وقال أبو الربيع لداود الطائي : عظني ؛ فقال : صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك من الأسد " [٢]. ولا أعلم كيف يصدر مثل هذا الفكر عن شخص أزهري قد صحب العلماء من أمثال الأفغاني والإمام محمد عبده ، ألا يتنافي ما يدعوا إليه مع قوله تعالي " يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا " [٣]كما يتعارض مع السنة النبوية التي تحض على شكر الناس والسعي في قضاء حوائجهم .

٣. فصل ترهيب من الإخوان ليحترس منهم بقدر الإمكان

بدأ الكاتب فصله كعادته ببيت من الشعر يقول فيه :

" أما العُداء فقدْ أَرَوْك نفوسهمْ فاقصد بسوء ظنك الإخوانا "[٤]

والحقيقة أن البيت الشعري يتسم بالبساطة والوضوح والبعد عن المحسنات ، ولا غرابة في ذلك فهو يقصد به النصح والإرشاد ، وإن كان هذا النصح مخالفا لقوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ " ولكن مما يحمد للكاتب في هذا الفصل أنه أكثر الاستشهاد بأبيات شعرية وقد ذكر صاحبها مثل (ابن الجزري ، والطغرائي ، والمتنبي ، والمعري وابن الرومي) ومن ذلك ما استشهد به من قول ابن الرومي :

عدوُّكَ من صديقك مستفادٌ فلا تستكثرنَّ من الصِّحابَ

---

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ١٣

٢ نفسه صـ ١٣

٣ سورة الحجرات آية رقم ١٣

٤ عبد المجيد الشرنوبي : تحفة العصر الجديد، ونخبة الأدب المفيد مرجع سابق صـ ١٨

فإن الداءَ أكثرَ ما تراهُ يحولُ من الطعام أو الشرابِ
إذا انقلبَ الصديقُ غدا عدواً مُبيناً والأمورُ إلى انقلابِ
ولو كان الكثيرُ يَطيبُ كانتْ مُصاحبةُ الكثير من الصوابِ
ولكن قلَّ ما استكثرتَ إلّا سقطتَ على ذئابٍ في ثيابِ
فدعْ عنك الكثير فكم كثيرٍ يُعافُ وكم قليلٍ مُستطـــابِ
وما اللُّجَجُ المِلاحُ بمُرْوياتٍ وتلقى الرِّيّ في النُّطَفِ العِذابِ "[١]

وبالنظر في الفصول الثلاثة الأولى في الكتاب ؛ وهي على الترتيب كالآتي :

١. فصل في الاحتراس من أشرار الناس
٢. فصل في زيادة الترغيب في العزلة عن الأشرار خيفة ارتكاب الأوزار
٣. فصل ترهيب من الإخوان ليحترس منهم بقدر الإمكان

نجد أننا لو تجاوزنا عن الفصل الأول وقبلناه على ماهيته ؛ فإنه لا يمكن بحال من الأحول التجاوز عن الفصل الثاني الذي يرغب في العزلة ،ولا عن الفصل الثالث الذي يرهب من الإخوان على المطلق ؛ ألا يخالف هذا الفكر قوله . صلي الله عليه وسلم . "حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شئ. إلا أنه كان يخالط الناس. وكان مؤسرا. فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ. قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ. تَجَاوَزُوا عَنْهُ)[٢]. وكذلك قوله . صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم . : "المؤمن للمؤمن كالبنيان. يشد بعضه بعضا"[٣]. وكذلك قوله . صلي الله عليه وسلم . "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد. إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[٤]. وغير ذلك من الأحاديث النبوية التي تحض على التعامل والاندماج بين البشر بعضهم البعض ، ثم لي بسؤال أخير لماذا تنصح البشر بالعزلة ؟ أما كان الأولى لك أيها الكاتب بالانعزال ؟! .

---

١ نفسه صـ ٢٠

٢ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري : صحيح مسلم المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة سنة النشر١٩٥٥ ج٣ صـ ١١٩٦

٣ المرجع السابق ج٤ صـ ١٩٩٩

٤ المرجع السابق ج ٤ صـ ١٩٩٩ ، ٢٠٠٠

ولن نطيل الوقوف كثيرا أمام مضمون الفصول السابقة بقدر ما نؤكد أن الأبيات الشعرية التي ذكرها من تأليفه كانت قليلة جدا ، وقد خلا بعضها من المحسنات والأخيلة . أما الجانب النثري فنجد فيه قوة ورصانة ، وحسن تقسيم، فوق كل هذا فقد اعتمد السجع بطريقة متقنة ، تكشف عن تمكنه من اللغة ومفرداتها ، وامتلاكه ثروة لغوية كبيرة ، مما انعكس على السجع الذي جاء في مكانه دون أن نشعر معها بالتصنع والتكلف . كما يتضح بقوة تأثره بالقرآن الكريم لفظا ومعنى ، وكذلك مقدرته اللغوية في اختيار الكلمات المناسبة الدالة على المعنى المطلوب .

والحقيقة أنني أردت الوقوف عند الفصول الثلاثة الأولى قبل الانتقال للفصول التالية في كتاب الشرنوبي لما أدركته من تباين في الأفكار والأسلوب بينهما وسوف يتضح هذا التباين فيما يلي في شرح باقي الفصول :

٤. فصل في النهي عن النفاق والكبر والرياء :

الكاتب قد بدأ في الحديث عن الأمور التي نهى الإسلام عنها ، فوافق الشريعة العصماء ، وسار طبعه مع نهج السنة السمحاء ؛وأنه قد تنحي جانبا عن الأمور التي تضمنتها الفصول الثلاثة الأولى من دعوات قد تكون ضد ما تدعو إليه الشريعة الإسلامية ؛ فنجده يبدأ الفصل بقوله " اعلم أن هذا الزمان قد قويت فيه حدة النفاق ، ورأى الناس في سوق فسوقه النفاق ، فأظهروا خلاف ما بطن يبتغون بذلك عرضا قريبا ، ولم يراقبوا وكان الله على كل شيء رقيبا ، جبلوا نفوسهم على الرياء وزعموا أنهم لا يعانون نصبا فضلوا وأضلوا واتخذوا دينهم هزوا ولعبا بما يرديهم لا بما يجديهم نفعا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون وما الله بغافل عما يعملون " [١].

ثم يستشهد بأقوال ابن العربي الذي يكشف فيها عن أناس ارتدوا لباس التصوف وهم لا علم لهم بالتصوف " وصوفية صوف بأعراض الدنيا

١ عبد المجيد الشرنوبي : تحفة العصر الجديد، ونخبة الأدب المفيد مرجع سابق صـ٢٢

موشحون، عظمت الدنيا في قلوبهم فلا يرون فوقها مطلبا ، وصغر الحق في أنفسهم فأعجلوا عنه هربا .."[١]

ثم يقول الكاتب بيتين من الشعر يتوافق ورأي ابن العربي :

"تعوذ بالله من أناسٍ تشيَّخوا قبلَ أنْ يشيخوا

تقوَّسوا وانحنوا رياءً فاحذرهم إنهم فخوخُ "[٢]

ويستشهد بأحاديث رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ فمن ذلك قوله : " وفي الحديث إياكم والشرك الأصغر ، قالوا وما الشرك الأصغر قال الرياء "[٣]

وبعد أن ينتهي الكاتب من الاستشهادات يعود ثانية ليطل علينا بأسلوبه النثري المعهود إذ يقول " فويل للمتكبرين الذين هم في حلل الإعجاب رافلون ، ثم ويل للذين هم يراؤون ويمنعون الماعون ... " [٤] . وهكذا يستمر الكاتب في أسلوبه حتى نهاية الفصل .

إذن افتتح الكاتب الفصل بالحديث عن النفاق وقد سرد كمًّا كبيرا من الشواهد سواء للعلماء أمثال ابن العربي أو الأشعار أو الأحاديث الشريفة ثم تحدث عن الرياء ثم التكبر دون فواصل كما لو أنهم جميعا شيئا واحدا .

وأول ما يمكن ملاحظته عن أسلوبه في الكتابة هو هذا السجع الذي أخذه حرفة له ، ومنهاجا يسير عليه ، وبالرغم من تمكنه المعهود في السجعات والفواصل ، فقد جانبه الصواب هذه المرة حيث كرر نفس الكلمة في نهاية الفاصلتين ؛ وذلك في قوله :

ـ اعلم أن هذا الزمان قد قويت فيه حدة النفاق ، ورأى الناس في سوق فسوقه النفاق .

فنجد أن الكاتب قد كرر كلمة (النفاق) في نهاية الفاصلتين ، وهذا ليس بمستحب في الشق البلاغي ؛ غير أننا نلمح في الفقرة الأولى التي افتتح بها الفصل ـ وعلي غير المعتاد ـ مجموعة من المحسنات البديعية ؛ كالطباق

---

١ نفسه صـ ٢٣

٢ نفسه صـ ٢٥

٣ نفسه صـ ٢٥

٤ نفسه صـ ٢٨

بين الظاهر والباطن في قوله (فأظهروا خلاف ما بطن) وكذلك المقابلة بين (يردي ويجدي) في قوله (يرديهم لا بما يجديهم) .و الجناس في قوله (فضلوا وأضلوا)وكذلك في قوله (يرديهم لا بما يجديهم) . ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن نغفل مقدرة الكاتب في اختيار الكلمات التي تتناسب والموضع؛ فالموضوع يدور عن النفاق والكبر والرياء ؛ ومن هنا نجد معظم الكلمات تتضمن معني (الظاهر . الباطن . الهلاك . المنفعة . الضلال . يحسبون . ويل . المتكبرين . حلل الإعجاب . رافلون) وغير ذلك من الكلمات التي تتوافق ومفردات العنوان .

وكذلك لا نعدم الصور والأخيلة في أسلوبه ؛ فنجد أكثر من استعارة في قوله (ورأى الناس في سوق فسوقه النفاق) حيث شبه الكاتب النفاق بشيء مادي يمكن أن يراه الناس وحذف هذا الشيء المادي وأتى بشيء من لوازمه وهو الرؤية . كما شبه الفسوق بشيء مادي يباع ويشتري في الأسواق وحذف هذا الشيء المادي وأتي بشيء من لوازمه وهو السوق . وفضلا عن الاستعارتين السابقتين فالجملة كاملة كناية عن تفشي الفسوق والنفاق بين الناس حتى صار ظاهرا .

كما يتضح تأثر الكاتب في أسلوبه بالقرآن الكريم ؛ فتارة يستخدم ألفاظا من القرآن الكريم مثل (يبتغون بذلك عرضا قريبا . جبلوا نفوسهم على الرياء . فضلوا وأضلوا . اتخذوا دينهم هزوا ولعبا) وتارة يستخدم آيات كاملة من القرآن الكريم ؛ كقوله (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون)[١] وكذلك قوله تعالى : (وكان الله على كل شيء رقيبا)[٢]، كما يستشهد ببعض الأحاديث الشريفة كقوله: " وفي الحديث إياكم والشرك الأصغر ، قالوا وما الشرك الأصغر قال الرياء ".

٥. فصل في النهي عن الحسد :

يبدأ الكاتب فصله بالحديث عن الفرق بين الحسد والغبطة ؛ قائلا " وهو تمني زوال نعمة الغير ، وأما الغبطة وهي تمني مثل حاله فهي محمودة"[٣]

١ سورة الحجر اية رقم ٧٢

٢ سورة الأحزاب آية رقم ٥٢

٣ عبد المجيد الشرنوبي : تحفة العصر الجديد، ونخبة الأدب المفيد مرجع سابق صـ٢٩

ويستشهد بأحاديث الرسول . صلي الله عليه وسلم . التي تدلل على معلومته السابقة من الفرق بين الحسد والغبطة . وبعد ذلك يبدأ في الحديث عن الحسد من خلاله أسلوبه الذي يتسم بالسجع ؛ يقول :

" ولا شك أن الحسد أقبح الذنوب ، وأكبر العيوب ، وما زال صاحبه حليف الهموم وأليف الغموم لا يرجى خيره ولا يؤمن ضيره ، وقد فشى في الناس ولم يسلم منه إلا القليل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل " [١] ثم يعود الكاتب ثانية إلى أحاديث رسول الله . صلي الله عليه وسلك ، وإلى القرآن الكريم يقتبس منهما ما يعضد قوله في مذمة الحسد ؛ فمن ذلك قوله " ويكفي الحاسد من النصب والعطب ، قوله عليه . الصلاة والسلام . : الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب . وقوله . عليه السلام . الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل ، وحسبك أن الله . تعالي . أمر بالاستعاذة من شر الحاسد ، ويكفيك في قبحه أنه أول ذنب عُصِي الله به لأن إبليس لم يحمله على ترك السجود لآدم إلا الحسد " [٢] .

كما يستشهد بأشعار كثيرة ينسب بعضها لصاحبه ويترك الأخر دون ذكر صاحبها غير أن الملاحظ في هذا الفصل هو كثرة الشعر الذي ألفه من جهة ومن جهة أخرى زاد عن البيت والبيتين كما في الفصول السابقة فصار يكتب مقطوعات ؛ فمن ذلك قوله :

أيَا حاسدًا لي على نعْمتي ... أَتدْري على منْ أسأتَ الأدبْ
أسأتَ على الله في حُكْمهِ ... لأنَّك لمْ ترضَ لي ما وَهبْ
فكانَ جزاؤكَ أنْ زادني ... وسدّ عليك طريق الطَّلب [٣]

وكذلك قوله :

غني يا نديم جهرا فإني ... للمعالي قد سرت حثيثا
لا تعدلي مذمة من حسود ... إن فضلي يرى قديما حديثا
وإذا كنت موقنا أن عزمي ... قاصم ظهر من تراه خبيثا

١ المرجع السابق صـ ٢٩
٢ المرجع الستبق صـ ٣٠
٣ المرجع السابق صـ ٣٠

كيف أرتاع من مذمة قوم ... لا يكادون يفقهون حديثا[١]

وكذلك قوله :

أقولُ للحاسدِ الباغي عليَّ إذا ... أتى الحِمى وغدا عندي مِنَ الأسْرى
عَزمي شهيرٌ وجاهي واسعٌ ولنا ... مكارمُ بين أعْيان الورى تتْرا
يَجلُّ قدري أن أجْني عليْكَ بما ... جَنَتْ يداكَ، فلا نشغلْ لكَ الفكرا
بلْ أنتَ حلٌّ وهذا الفضلُ عادتنا ... لقد مننا عليك مرّةً أخرى [٢]

وكذلك قوله :

وحسَّدي بادروا بهجْـوي ... بغير جُرْمٍ ولا بدايــةْ
أغراهم فضْلُنا فهامُــوا ... بكلِّ وادٍ من السّعايــةْ
وليْس حصْني سِوى مَقالي ... مولاي حسْبي وذا كفايةْ [٣]

وبالنظر في سرد الكاتب لموضوعه وهو النهي عن الحسد نجد الآتي :

ـ استخدم الشاعر أسلوبه المعتاد القائم على السجع وذلك يتضح جليا في قوله (أقبح الذنوب ، وأكبر العيوب . حليف الهموم وأليف الغموم لا يرجى خيره ولا يؤمن ضيره) فنجد السجع القائم بين الذنوب والعيوب ، وكذلك السجع القائم بين الهموم والغموم ، وكذلك في قوله : خيره وضيره . كما نجد أن هذه المفردات قد جاءت في موضعها وهي تتناسب وفكرة الموضوع ، فضلا عما حققه السجع من موسيقي في العمل الفني مما أضفي عليه قيمة فنية كبرى .

ـ لم يعتمد الكاتب على السجع فحسب بل صار يحفل بالجناس ؛ كالجناس بين مفردتي (الهموم والغموم) وكذلك بين مفردتي (خيره وضيره) ولا يمكن إنكار دور الجناس في تنمية الحس الموسيقي في العمل الفني .

ـ أيضا استخدم الطباق كما قوله (إن فضلي يرى قديما حديثا) ، فالطباق بين قديما وحديثا يفيد شمول المعني المراد كما يدعم الموسيقى بالبيت الشعري.

---

١ المرجع السابق صـ ٣٣
٢ المرجع السابق صـ ٣٤
٣ المرجع السابق صـ ٣٥

. أيضا استخدم الكاتب أدوات الاستفهام في غير معناها الحقيقي ؛ فمن ذلك قوله :

كيف أرتاع من مذمة قوم ... لا يكادون يفقهون حديثا

فالاستفهام هنا خرج من معناه الحقيقي إلى معنى جديد وهو الاستنكار .

. استخدم الكاتب أيضا حسن التعليل وذلك في قوله :

أيَا حاسدًا لي على نعْمتي أَتدْري على منْ أسأتَ الأدبْ

أسأتَ على الله في حُكْمهِ لأنَّك لمْ ترضَ لي ما وَهبْ

فالكاتب يقرر أن الحاسد بحسده نعمة المخلوق قد أساء الأدب على الله ـ تعالى . ويعلل الكاتب ذلك بقوله أن الحاسد بهذا الحسد يرفض عطاء الله لخلقه ويعترض على حكمة الله . تعالى . في هباته وعطاياه .

ـ أيضا تأثر الكاتب بالقرآن الكريم فمن ذلك قوله (لا يكادون يفقهون حديثا)حيث تأثر بقوله . تعالى . : " (فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا)[1] " وكذلك قوله (لقد منا عليك مرّةً أخرىٰ) تأثر فيه بقوله . تعالى . :" وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ "[2]. كما استشهد بأحاديث رسول الله . عليه الصلاة . من أجل دعم فكرة موضوعه ؛ فمن ذلك قوله " ويكفي الحاسد من النصب والعطب ، قوله عليه . الصلاة والسلام . : الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب . وقوله . عليه السلام . الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل ، وحسبك أن الله . تعالي . أمر بالاستعاذة من شر الحاسد " . ولا يمكن إنكار ما تمثله هذه الاستشهادات من أمرين ؛ الأمر الأول فيتمثل في ثقافته الواسعة بالقرآن الكريم ، والأحاديث الشريفة ، أما الأمر الثاني فيتمثل في قدرته على اختيار الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي يقوي بها حجته . وعلى كل فهذا الفصل من أنضج الفصول التي كتبها الشرنوبي فنيا حتى الآن ؛ ففيها من العناصر الفنية والسمات الأدبية ما لم يتوفر في الفصول السابقة .

٦ ـ فصل في النهي عن الغيبة وسماعها :

---

١ سورة النساء آية رقم ٧٨

٢ سورة طه آية رقم ٣٧

وهو من أضعف الفصول فنيا في الكتاب ؛ فلا يكاد صاحب الكتاب أن يكون له من هذا الفصل سوى بضعة أسطر من تأليفه ومقطوعة شعرية واحدة، ولا نكاد نلمس إبداعا فنيا للمؤلف في هذا الفصل . ويغلب على هذا الفصل كثرة الاستشهاد بأحاديث رسول الله . عليه الصلاة . وأراء السابقين من العلماء وأشعار قليلة لبعض الفقهاء أمثال الإمام الشافعي . حتى أن ما أورده الكاتب من تأليفه . وبالرغم من قلته . يفتقد الإبداع الفني والصور الجميلة حتى يكاد يكون جل كلامه نصائحا مباشرة أقرب للوعظ منه إلى الفن الأدبي ، ولذلك إذا نظرنا في المقطوعة الشعرية الوحيدة التي كتبها من تأليفه في هذا الفصل ؛ والتي يقول فيها :

إن رُمْتَ في الحشْرِ تنْجو مِنْ حرِّ نار الجحيمِ
وتسْتعزُّ بنصْـــــرٍ من العزيز الرحيمِ
فَصُنْ لسانـــكَ وارْدُدْ عَنْ عِرْضِ خِلٍّ كريمِ
فالله يوفِّيكَ أجـــراً منَ النَّعيمِ المقيـمِ
وذا لَعمـــركَ كافٍ طوبى لقلبٍ سليـمِ [١]

فالأبيات السابقة من الصور البيانية ، واعتمد الكاتب فيها التوجيهات المباشرة ،والنصح الموجه بدون الشعور بتواجد سمات فنية تضفي قيمة فنية للأبيات .

٧. فصل في النهي عن النميمة وسماعها :

في هذا الفصل يعود الكاتب لديدنه ، ويرجع إلى سابق عهده ، فيصوغ كلاما منمقا ويسرد من خلال أسلوبه الأدبي مفهوم النميمة وأضرارها وعقابها مستشهدا بآيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول . عليه الصلاة . وأقوال الخلفاء والعلماء ؛ فمن ذلك قوله :

" وهي السعي بالحديث بين الناس لأجل الإفساد ، وإيقاع الوحشة في قلوب العباد ، وتسمى سعاية إن كانت إلى سلطان أو إلى ذي قدر ومكان ، ولا جرم أن النميمة تدلُّ على نفس لئيمة ، مشغوفة بهتك الأستار ، مشغولة بإفشاء الأسرار . ولم يمش ماشٍ شرٌّ من واش كيف لا وقد ذمَّه الله في كتابه

١ عبد المجيد الشرنوبي : تحفة العصر الجديد، ونخبة الأدب المفيد مرجع سابق صـ ٤٣

الكريم بقوله (همَّازٍ مشَّاءٍ بنمِيمْ) ، وقال . عليه الصلاة والسلام . لا يدخل الجنة نمام ." [١] . كما يستشهد بأبيات شعرية من تأليفه تدعم ما جاء به من شأن النميمة ؛ فمن ذلك قوله:

رأيت الناس بالدينار هامـــوا ... وباعوا الدين بالدنيا وساموا
فأعقبهم نفاقا فـــي قلـــوب ... إلى يوم به اشتد الزحـــام
ترى عند اللقاء جميل بشـــر ... وبعد البعد تأتيك السهـــام
وحسبي من خطوب الدهر طه ... لكل المرسلين هو الختـــام [٢]

وبالنظر فيما كتبه المؤلف بأسلوبه نجد مجموعة من السمات الفنية؛ فمن ذلك:

١. السجع : فقد وقع في كتابات المؤلف مجموعة كبيرة من الفواصل السجعية ؛ مثل "

ـ وهي السعي بالحديث بين الناس لأجل الإفساد ، وإيقاع الوحشة في قلوب العباد

. وتسمى سعاية إن كانت إلى سلطان أو إلى ذي قدر ومكان

. ولا جرم أن النميمة تدلُّ على نفس لئيمة

. مشغوفة بهتك الأستار ، مشغولة بإفشاء الأسرار

فنجد في الفقرة الأولي السجع بين الإفساد . العباد ، كما نجده أيضا في الفقرة الثانية بين سلطان . مكان ، كما يتحقق السجع في الفقرة الثالثة من خلال مفردتي : النميمة . اللئيمة ، وأخيرا يتحقق من خلال مفردتي الأسعار والأسرار . ومما لا شك فيه أن هذا السجع يعد من أخص خصائص الشرنوبي في كتابته فقد امتلأت كتاباته بمثل هذا النوع من السجع كما أجاد فيه إجادة بالغة.

٢. الجناس : وقع الجناس في أكثر من موضع ؛ مثل الجناس بين (مشغوفة . مشغولة) وكذلك الجناس بين (الأستار . الأسرار)وكذلك الجناس بين (ماش . واش) .

٣. الاستشهاد بآيات القرآن الكريم ؛ فمن ذلك " كيف لا وقد ذمَّه الله في كتابه الكريم بقوله (همَّازٍ مشَّاءٍ بنمِيمْ) " كما يدلل على فكرته بأحاديث الرسول

١ المرجع السابق صـ ٤٣ ، ٤٤

٢ المرجع السابق صـ ٥٠

. عليه الصلاة . ؛ فمن ذلك قوله : "وقال . عليه الصلاة والسلام . لا يدخل الجنة نمام .".

٤. اقتباس المعاني الشعرية من الشعراء السابقين ؛ فقول الشرنوبي :

رأيت الناس بالدينار هاموا ... وباعوا الدين بالدنيا وساموا

يتفق مع معني الإمام الشافعي :

رأيت الناس قد مالوا إلى من عنده مالٌ[١]

٨. فصل في النهي عن الكذب وسماعه وفضيلة الصمت :

بدأ الكاتب الفصل بالحديث عن الكذب ومفهومه وأضراره والنهي عنه في القرآن والسنة ، ويستشهد بآراء السلف من الفقهاء والعلماء والصالحين ، ثم يتدخل بأسلوبه الذي يكاد يكون متقاربا مع أسلوب القدماء ، معتمدا على السجع بكثرة وبقليل من المحسنات البديعية الأخرى ؛ فمن ذلك قوله : "إثارة الفتن نار، والكذب على الإخوان عار، ليكن مرجعك إلى الحق، ومنزعك إلى الصدق، فالحق أقوى أمين والصدق أفضل قرين؛ لا تقولن كذبا يوافق هواك ويغضب أخاك، وإن خلته لهوا وقلته لغوا، فرب لهو يوحش منك حرا، ولغو يجلب لك شرا ، ما عز ذو كذب، ولو أخذ القمر بيديه، ولا ذل ذو صدق ولو اتفق العالم عليه، وإياك وقبيح الكلام، فإنه ينفر عنك الكرام، ويغري عليك اللئام، ويوجه إليك الملام ، فاعقل لسانك إلا من حقٍّ توضحه أو خلل تصلحه أو كلمة تفسرها أو مكرمة تنشرها ؛ فإنه يستدل على عقل الرجل بقوله وعلى أصله بفعله، وهاك وصية نبوية ، جامعة للخصال المرضية ..".[٢]

وفي النهي عن الكذب قال الشرنوبي :

لو يعلم الباغي بسوء مقاله ... أن الجحيم مقرَّ في المنتهى

لأبان بين الناس نيّر صدقه ... وعن المعاصي والأكاذيب انتهى [٣]

وبالنظر فيما كتبه المؤلف من أسلوبه في هذا الفصل نجد أنه قد تحقق

---

١ أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي : ديوان الشافعي ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي القاهرة ط٢ ١٩٨٥ صـ ١٠٦

٢ المرجع السابق صـ ٥٥

٣ المرجع السابق صـ ٥٨

فيه بعض السمات الفنية وأهمها :

١ـ السجع : لم يغفل الشرنوبي عن السجع ، بل سار عليه في هذا الفصل أيضا ، كما سار عليه في الفصول السابقة ؛ فنجد السجع قد تكرر في أكثر من موضع ؛ فمن ذلك :

. إثارة الفتن نار، والكذب على الإخوان عار

. ليكن مرجعك إلى الحق، ومنزعك إلى الصدق

. فالحق أقوى أمين والصدق أفضل قرين

. وإن خلته لهوا وقلته لغوا

وقد يجعل من السجع في أكثر من جملة متتالية ؛ فمن ذلك قوله :

ـ وإياك وقبيح الكلام، فإنه ينفر عنك الكرام، ويغري عليك اللئام، ويوجه إليك الملام

٢. المقابلة : وقعت المقابلة في أكثر من موضع ؛ فمن ذلك قوله :

. ما عز ذو كذب، ولا ذل ذو صدق

. ينفر عنك الكرام، ويغري عليك اللئام

٣. الجناس : وقع جناس في أكثر من موضع ؛ فمن ذلك :

. الجناس بين مفردتي (نار وعار) وذلك في قوله : إثارة الفتن نار، والكذب على الإخوان عار.

ـ الجناس بين مفردتي (لهوا ، ولغوا) وذلك في قوله : وإن خلته لهوا وقلته لغوا .

. الجناس بين مفردتي (لهو ، ولغو) وذلك في قوله : فرب لهو يوحش منك حرا، ولغو يجلب لك شرا .

٤ـ حسن التقسيم : وهي من إحدى المميزات الأدبية التي يتسم بها الشرنوبي وتتكرر في كثير من أقواله ؛ فمن ذلك قوله :

. فاعقل لسانك إلا من حقٍّ توضحه أو خلل تصلحه أو كلمة تفسرها أو مكرمة تنشرها .

ومما لا شك فيه أن هذا الفصل من الناحية الفنية ؛ يعد من أغني الفصول التي كتبها الشرنوبي؛ فقد تتضمن مجموعة من السمات الفنية ؛ من

سجع وجناس ومقابلة وحسن تقسيم ، وغير ذلك من السمات الفنية التي تعلي من شأن كتابته فنيا وأدبيا وموسيقيا .

٩ . فصل جامع لمكارم الأخلاق الموصلة إلى الكريم الخلاق :

في هذا الفصل لم يضف الكاتب من أسلوبه النثري شيئا إلى النذر اليسير ؛ فلا تكاد تتبين من خلاله أسلوبا أدبيا أو ظاهرة أدبية تستحق دراسة . أما على الجانب الشعري فضلا عن الاستشهادات التي ساقها في فصله ، فقد كتب مقطوعتين من تأليفه ؛ أما المقطوعة الأولى فهي قوله :

خذ العفْوَ عنْ جاهلٍ قدْ بغى عليْكَ تَفُزْ بالمقامِ الأمينْ
وبالعُرْفِ فأمُرْ وكن مُحْسنا وواصِلْ وأعرضْ عن الجاهلين[١]

أما المقطوعة الثانية فهي قوله :

إذا زل الكريم فكن حليما ... فإن الحلم حينئذ مَزِيِّـــهْ
وإن جاء اللئيم إليك عمدا ... بما كسبت يداه من الأسيِّهْ
ولم يخضع لعفوك باعترافٍ ... فعجِّل بالمكافأة القويِّهْ
فإن الحرَّ يكفيه ملامٌ ... وإن العبد تصلحه الأذيِّهْ
فعامل كل إنسان بحُكمٍ ... وفي هذا ترى فصْلَ القضيّهْ[٢]

يتضح من المقطوعتين السابقتين أن الكاتب قد ضمنهما مجموعة من القيم الإسلامية التي تحدث عنها في الفصل من : عفو وكرم وحلم وأمر بالمعروف والابتعاد عن الجاهلين ، وكما تأثر الكاتب بالمعاني الإسلامية فقد تأثر بألفاظ القرآن الكريم ؛ كقوله (خذ العفو . أعرض عن الجاهلين . كسبت يداه) .

---

١ أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي : ديوان الشافعي ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي القاهرة ط٢ ١٩٨٥ صـ ٥٨

٢ المرجع السابق صـ ٨٠ ، ٨١

١٠ . فصل في ذكر مواقف القيامة وما به تحصل السلامة :

١١. خاتمة في التوبة :

في هذين الفصلين لم يضف الكاتب شيئا من أسلوبه بل اعتمد بشكل تام على الاستشهاد بأحاديث رسول الله . عليه الصلاة . وأقوال السابقين من العلماء والفقهاء والشعراء .

ويقول الشرنوبي في ختام كتابه تحفة الأدب الجديد:

رب إني من فيض فضلك أرجو ... محو ذنبي بجاه خير الأنام
وأنا المخطئ المقر بأنـــي ... ليس لي غير جاه بدر التمام
فأقل عثرتي إلهي وهبني ... للشفيع المجاب يوم الزحام
وأجرني من الجحيم فإنـي ... لذت بالمصطفى رفيع المقام
وإذا العبد كان عبد مجيد ... فله في العلا بلوغ المـرام
فبجاه الحبيب تنجح قصدي ... ببلوغ المنى وحسن الختام

والحقيقة أنني لن أقف أمام توسل الكاتب لله . عز وجل . مستعينا بجاه الرسول . عليه الصلاة والسلام . لتوضيحها من الناحية الدينية ، بقدر ما أريد التأكيد على بساطة الكلمات التي اختارها الكاتب في مقطوعته الشعرية ، وسلاسة أسلوبه وبعده عن المحسنات والصور المكثفة ؛ ولعل هذا يتناسب وطبيعة الموقف وهو التضرع إلى الله . تعالى . بالتوبة .

المبحث الثاني
البناء الفني في
ديوان خطب عبد المجيد الشرنوبي [١]

جمع المؤلف في هذا الديوان مجموعة من الخطب من تأليفه وإبداعه ، وقد اعتمد على السجع في تأليفه ؛ ويبدو أن المؤلف كان على وعي تام بأهمية السجع في الخطب ؛ وذلك أن "السجع هو قوام الكلام المنثور ، وعلو رتبته" [٢]؛ كما جاء في لسان العرب " " وذهب أبو إسحاق إلى أن الخطبة عند

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب ، مطبعة بولاق الأميرية ط٥ سنة ١٣١٠

٢ أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ج ٢ صـ ٣٠١

العرب : الكلام المنثور المسجع " [١]؛ لذا جعل المؤلف كلامه في ثلاث فواصل سجعية . ولعل هذا ما جعله يسمي ديوان خطبه مثلث السجعات . ؛ ثم يتبع الفواصل السجعية الثلاثة بآية من القرآن الكريم ؛ وهي لا تكون على غرار الثلاث السجعات الأولي في الحرف الأخير . ولعل هذا ما دفعه أن يسمي ديوانه مربع السجعات بعد هذا التعديل الأخير بالطبعة الخامسة .

وهكذا يتضح أمامنا منذ البداية عشق المؤلف للسجع وتمكنه منه ، وقدرته اللغوية الفائقة ، وهو بهذا يجنح إلى أسلوب القدماء في الكتابة والخطابة ؛من الجنوح إلى الصنعة اللفظية وجزالة الألفاظ ، مع وضوح المعاني . كما يتضح لنا وعيه لما في القرآن الكريم من آيات كريمة متصلة بموضوع خطبته ، وقدرته على الاستشهاد بآيات قرآنية تنتهي بنفس الحرف وتضمن معانيا تتصل بموضوع الخطبة . وإذا كان ما سبق يعكس المنهج العام الذي سار عليه المؤلف في خطبه؛ فإن دراسة خطبه تدفعنا للتأكد من هذه الطلاقة الإبداعية في التأليف كما تفتح لنا . بإذن الله . مجالا لرؤية أكبر في دراسة خطبه دراسة فنية كما يتضح مما يأتي .

والخطبة " من فنون النثر الأدبي فنٌّ لساني يلقى على جمهور السامعين، وهذا الفن النثري هو الخطابة، وللخطابة مجالاتها التي لا يمكن لأي فن أدبي آخر أن يغني عنها بحكم طبيعتها التي تلازمها على مدى العصور." [٢] . والخطابة الدينية " تلك التي شرع الإسلام لها وقتاً معلوماً في يوم الجمعة والعيدين ، وفرض الاستماع لها " [٣] فالخطيب يجد في هذا اللون الأدبي وسيلة صالحة لبث القيم والأخلاق في نفوس الأفراد ؛ فهي قادرة على أن " تصلهم بالخالق . سبحانه وتعالى . وتعلو بهم عن الأرض إلى السماء ، وتبصرهم بما ينفعهم في الدنيا والآخرة ، فالخطيب يتكلم من قبل الله ،

---

١ ابن منظور – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري : لسان العرب دار صادر بيروت ٢٠٠٣ ج ٥ صـ ٩٨

٢ عبد العاطي محمد شلبي، عبد المعطي عبد المقصود : الخطابة الإسلامية الناشر: المكتب الجامعي الحديث ط ٢٠٠٦ صـ ١١

٣ عبد الرحمن عيسى : أدب الخطابة الدينية في الدعوة الإسلامية ، دار الإيمان ، بيروت ، الطبعة الأولى١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ صـ٢٣

والموضوع ديني وروحي ، وثمرة الخطبة سعادة الفرد والمجتمع ، وتمجيد الله وطاعته، وابتغاء الخير " [١] . وللخطابة قيمة كبرى عند العرب ؛ فهي "من مستودعات سر البلاغة ، ومجامع الحكم ، بها تفاخرت العرب في مشاهدهم ، وبها نطقت الخلفاء والأمراء على منابرهم ، وبها يتميز الكلام ، وبها يخاطب الخاص والعام "[٢] فضلا عن كونها ميدانا للأديب يفصح من خلالها على قدراته في مجال الفن الأدبي والمقدرة اللغوية .

أولا : خطب شهر محرم :

١. يقول الشرنوبي في الخطبة الأولي للمُحرَّم :

" الحمد لله الذى دبر الأكوان بحكمته البالغة العلية * وجدد الأعوام لمن تدبر من الأنام عبرا جلية * وافتتحها بالمحرم الحرام المعظم في الإسلام والجاهلية * وجعل مر الأيام دليل الفناء إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون * أحمده وأشكره على تعاقب الأيام والأعوام * وأستغفره وأشهد ان لا إله إلا الله القدوس السلام * وأشهد أن محمدا رسول الله صفوة الأنام * اللهم صل وسلم على محمد وآله وصحبه عدد ما كان وما يكون (أما بعد فيا عباد الله) ما هذه الحياة الدنيا إلا ساعات تمر وأنفاس تتردد * وأوقات تكر وأعوام تتجدد * وزهرات تغر وأجسام تتبدد * وللدار الاخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون * فاتقوا الله واحذروا الدنيا فإنها بأهلها غدارة * وقوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة * وقدموا بين يدي نجواكم صدقة فإنها نعمت التجارة * وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * فإلى متى الذهول عن المنون وقد ذهب الأوائل جيلا بعد جيل * وحتام القصور عن الوصول إلى رضا الملك الجليل ..... " [٣]

بدأ الشرنوبي خطبته بحمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسول الله ـ عليه الصلاة ـ وذلك " أن خطباء السلف الطيب، وأهل البيان من

---

١ أحمد محمد الحوفي : فن الخطابة ، مطبعة الرسالة، القاهرة، الطبعة الثالثة صـ١٢٨

٢ أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، مرجع سابق ج ١صـ٢٥٣

٣ المرجع السابق صـ ٤، ٥

التابعين بإحسان، ما زالوا يسمون الخطبة التي لم تبتدأ بالتحميد، وتستفتح بالتمجيد: «البتراء» . ويسمون التي لم توشح بالقرآن، وتزين بالصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم: «الشوهاء» [١]. وليس جديدا أن توشح الخطبة بآيات من القرآن الكريم ، فهذا ما عهدنا عليه الأئمة السابقين الذين أدركوا تأثيرها على المتلقيين من" إقامة الحجة، وقطع النزاع، وإذعان الخصم ، وقد تقوم الآية الواحدة المستشهد بها في بلوغ الغرض، ما لا تقوم به الكتب المطولة ، والأدلة القاطعة " [٢] .

ولقد كان الشرنوبي على وعي تام بأهمية الاستهلال وشروطه ؛ فجاءت ابتداءاته قوية مطرزة بالسجع ؛ فقد قال ابن الأثير صاحب كتاب "المثل السائر: "وإنما خُصت الابتداءات بالاختيار؛ لأنها أول ما يطرق السمع من الكلام، فإذا كان الابتداء لائقًا بالمعنى الوارد بعده، توفرت الدواعي لسماعه"[٣]. ويقول أبو الهلال العسكري في الصناعتين : "قال بعض الكتَّاب: أحسنوا معاشر الكتَّاب الابتداءات؛ فإنهن دلائل البيان"[٤]ويقول حازم القرطاجني في منهاج البلغاء : "ومما تحسن به المبادئ أن يصدر الكلام بما يكون فيه من تنبيه وإيقاظ لنفس السامع، أوأن يشرب ما يؤثر فيها انفعالًا، ويثير لها حالًا من تعجيب أو تهويل أو تشويق أو غير ذلك "[٥].

---

١ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الشهير بالجاحظ / البيان والتبيين الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت ج ٢ صـ٦

٢ أبو الثناء شهاب الدين محمو د بن سليمان بن فهد الحلبي : حسن التوسل إلى صناعة الترسل تحقيق: أكرم عثمان يوسف ، دار الحرية ، بغداد١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ صـ ٧٦

٣ أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : تحقيق د . أحمد محمد الحوفي، د . بدوي طبانة ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ،الطبعة الأولى ١٣٧٩ هـ/ ١٩٥٩ م. القسم الثالث، المبادئ والافتتاحات، ص: ٩٨.

٤ أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري : كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق : علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ص: ٣٣١.

٥ أبي الحسن حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة دار الغرب الإسلامي ط ٣ ١٩٨٦ ج ٢ ص: ٣١٠.

فنجده يبدأ بحمد الله . تعالى . والثناء عليه والصلاة والسلام على رسول الله . عليه الصلاة والسلام . ثم يأتي بتمهيد لمضمون الخطبة وذلك في قوله " وجدد الأعوام لمن تدبر من الأنام عبرا جلية * وافتتحها بالمحرم الحرام المعظم في الإسلام والجاهلية * وجعل مر الأيام دليل الفناء إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون * " فالحديث عن الأيام وانقضائها مناسب تماما مع أول شهور السنة الهجرية التي ابتدأ التقويم الهجري بها ،هذا من جهة ومن جهة أخري مناسب تماما لموضوع الخطبة التي تدور حول مرور الأيام وتقلبها وانقضائها سريعا وبالتالي ضرورة الإسراع بالتوبة والرجوع إلى الله . تعالى . ؛ يقول الشرنوبي في متن الخطبة : " ما هذه الحياة الدنيا إلا ساعات تمر وأنفاس تتردد * وأوقات تكر وأعوام تتجدد * وزهرات تغر وأجسام تتبدد * وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون * فاتقوا الله واحذروا الدنيا فإنها بأهلها غدارة * وقوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة * " ولقد جرت العادة أن يتضمن الاستهلال مقدمة للمضمون الرئيس للخطبة ؛ فما " من شيء يحدث في النص إلا وله نواة في الاستهلال، فهو بدء الكلام، وهو بدء التأسيس، فالبداية التي نعنيها هنا: البداية المولودة والمهيمنة فهي ليست قوة إشعاع أو تنوير ما للنص، وإنما هي الحاضنة لما سيحدث في النص ونشبه الاستهلال بالبيضة المخصبة، تلك هي الحاضنة لما سيحدث في النص الإبداعي إلى جنين ومن ثم إلى كيان إنساني كامل " [١].

ثم يستخدم الشرنوبي المقولة الشائعة عند الخطباء وذلك للتخلص من الاستهلال إلى المضمون فيقول " (أما بعد فيا عباد الله) ؛ ليجذب من خلال هذا النداء انتباه الناس ؛ ليبدأ في إلقاء مضمون الخطبة عليهم ؛ وهو أيضا يسير على نهجه في استخدام السجع فنجده في ثلاث فقرات متتابعة ثم يأتي بآية من القرآن الكريم وهكذا يسير في كل خطبه .

ولا يمكن إنكار الإبداع الذي اتسم به الشرنوبي في اختيار موضوع أول خطبة له في محرم ؛ فكما أن محرم يمثل بداية الشهور الهجرية . حيث بدأ به

١ ياسين نصير، الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي، دار نينوى للد راسات والنشر والتوزيع دمشق،. ٢٠٠٩ م، ص ٧

التقويم . فقد أخذه مدخلا للحديث عن الأيام وتتابعها وسرعة وتيرتها في الانقضاء ، وبالتالي دعا الناس إلى سرعة التوبة والرجوع إلى الله تعالى قبل انقضاء الأجل وملاقاة الله . تعالى . . كما نلاحظ خلو الخطبة من الشعر على خلاف ما عهدناه في كتابه السابق (تحفة العصر الجديد ونخبة الأدب المفيد) الذي امتلأ باستشهادات من تأليفه وأخرى من تأليف غيره ؛ ولكنه . كما سبق وقلنا . يعلم أصول الخطابة وقواعدها فكان يسير على بينة من أمره ؛وذلك أن أغلبية الخطب تخلو من الشعر ، وقد أشار الجاحظ إلى ذلك بقوله : " وأكثر الخطباء لا يتمثلون في خطبهم الطوال بشيء من الشعر " [١].

أما خاتمة الخطبة وهي (آخر ما يعيه السمع ، ويرتسم في النفس)[٢]؛ فقد تخير الشرنوبي حديثا من الأحاديث النبوية يتفق وموضوع خطبته وهو قوله . عليه الصلاة والسلام . : " أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل وأفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرم " . ولا يخفي عما في هذه الخاتمة من حسن تصرف الشرنوبي فليس هناك كلام أفضل بعد كلام الله ـ تعالى . من كلام رسول الله . عليه الصلاة والسلام . لغة ومضمونا وتعلقا بقلوب السامعين .

٢. يقول الشرنوبي في الخطبة الثانية للمحرم :

" الحمد لله الولي الغفور ذي الجلال والإكرام * الغنى الشكور وواسع الإفضال والإنعام * المحسن العطوف باسط الإحسان لجميع الأنام * العفو الرؤوف تبارك الله رب العالمين * أحمده وأشكره على جميع نعائمه * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله معز أوليائه * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله سيد أصفيائه * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه إلى يوم الدين (أما بعد فيا عباد الله) إن شهركم هذا منهل البر والإحسان فابسطوا أكف

١ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ : البيان والتبيين تحقيق : عبد السلام محمد هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٦٠ م. ج ١ صـ١١٨

٢ عبد المتعال الصعيدي : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة مكتبة الآداب ط ١٧ ٢٠٠٥ ج ٤ صـ ٧١٢

الضراعة* وموسم الربح والغفران فاجعلوا التقوى خير بضاعة * ومورد الفضل والرضوان فابذلوا فضل الأموال بقدر الاستطاعة * وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين * وأكثروا من البر يوم عاشوراء فإنه فضل في الجاهلية والإسلام * وأكرم الله فيه رسله عليهم الصلاة والسلام * وصامه . صلى الله عليه وسلم . وأكد صومه على الأنام * فصوموه مع التاسع شكرا لله وسيجزى الله الشاكرين * فيه خلق آدم وأسكنه دار النعيم * ونجى خليله إذ قال يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم ....." [١].

يبدأ المؤلف خطبته بالحمد لله والثناء عليه والصلاة والسلام على سيد الأنام . صلي الله عليه وسلم . وهو في صدد الحمد والثناء فإنه يأتي بصفات الله . عز وجل . التي تتماشي مع موضوع الخطبة ؛ فنجده يأتي بصفات ؛ مثل : (الغني . الشكور . وساع الفضل والنعم ، المحسن) وغير ذلك من الصفات التي تتماشي وحديثه عن قيمة شهر محرم وثواب الله . تعالى . المضاعف للطاعات والأعمال الخيرة ، ثم يفسر أسباب قيمة هذا الشهر وذلك لما فيه من أحداث دينية عظيمة ؛ مثل :

. فيه خلق آدم وأسكنه دار النعيم

. نجى الله . تعالى . خليله إذ قال يا نار كونى بردا وسلأما على إبراهيم

. أخرج الله . تعالى . يونس . عليه السلام . من بطن الحوت .

. وفيه فرق الله . تعالى . البحر لموسي . عليه السلام . وأغرق فرعون

وغير ذلك من المناسبات الدينية العظيمة التي تبجل من هذا الشهر المعظم وتعلي من شأنه . ثم يختتم المؤلف خطبته بحديث رسول الله . صلي الله عليه وسلم . " صيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله "[٢] .

وفضلا عما في الاستهلال من توطئة لمضمون الخطبة ، فقد استخدم المؤلف قوله (أما بعد فيا عباد الله) وذلك للتخلص من الاستهلال والولوج إلى المضمون .

---

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب ، مرجع سابق صـ ٦

٢ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٧

كما تضمن كل من الاستهلال والمضمون مجموعة من الخصائص الفنية ، أهمها على الإطلاق السجع الذي يقع مشتركا بين كل ثلاث جمل ويتبعهم بآية من القرآن الكريم ، فمن ذلك قوله : " إن شهركم هذا منهل البر والإحسان فابسطوا أكف الضراعة* وموسم الربح والغفران فاجعلوا التقوى خير بضاعة * ومورد الفضل والرضوان فابذلوا فضل الأموال بقدر الاستطاعة * وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين *". فنجد السجع في نهاية كل جملة بين (الضراعة ، بضاعة ، الاستطاعة) ثم يتبعهم بآية من القرآن الكريم ؛ وهي قوله . تعالي . (وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين) .

ويذهب السجع عند الشيخ الشرنوبي كل مذهب ، فنجده لايقف عن نهاية الفواصل فحسب ، بل نجده يحقق السجع بين كل كلمة في الجملة وما يقابلها في الجملة الثانية ؛ فمن ذلك ما جاء في الاستهلال من قوله :

. الولي الغفور ذي الجلال والإكرام

. الغنى الشكور وواسع الإفضال والإنعام

فناهيك عن السجع الذي تحقق في نهاية كل فاصلة (الإكرام . الإنعام) نجد سجعا بين كل كلمة في الجملة الأولى وما يقابلها في الجملة الثانية (الولي . الغني) ، (الغفور . الشكور) ، (الجلال . الإفضال) ، (الإكرام . الإنعام) .

كما نجد الاستعارة في قوله (شهركم هذا منهل البر) حيث شبه البر بالماء ، وحذف الماء وأتي بشيء من لوازمه وهو (المنهل) . كذلك تقع الاستعارة في قوله (فاجعلوا التقوى خير بضاعة) حيث التقوى بشيء مادي يباع ويشترى وحذف هذا الشيء المادي وأتي بشيء من لوازمه ؛ وهي قوله (البضاعة) .

٣. الخطبة الثالثة للمحرم

" الحمد لله الذي وفق من ارتضاه لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة * وقوى من اجتباه فقام بأوامر القرآن ولم يخش إلا الله * وهدى من اصطفاه فصرف سمعه وبصره فيما يحبه ويرضاه * لا إله إلا هو جعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون * أحمده وأشكره هدانا بآياته إلى سواء السبيل * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله العظيم الجليل * وأشهد أن محمدا رسول الله

أفضل حبيب وأكرم خليل * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه كلما ذكرك الذاكرون (أما بعد فيا عباد الله) قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون * فقوموا على قدم السداد واتقوا الله الذي إليه تحشرون وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون * ولا تتبعوا الشيطان فإنه يعدكم بالفقر ويأمركم بالفحشاء والمنكر والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ولفضل الله أكبر * فاحذروا وساوس الشيطان وبادروا بالزكاة ذلكم أذكى لكم وأطهر * والله يعلم وأنتم لا تعلمون ....." [١]

ابتدأ الشرنوبي خطبته بحمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام علي رسول الله . صلى الله عليه وسلم ، ثم استخدم جملته المعهودة للانتقال من الاستهلال إلى المضمون وهي قوله :(أما بعد فيا عباد الله). كما استطاع أن يوفق بين الاستهلال ومضمون الخطبة ؛ فنجده بدأ الاستهلال بالحديث عن توفيق الله . تعالي . لعباده بالصلاة والزكاة وأنهما من نعم الله على الإنسان وهو بهذا يتخذ ذلك سبيلا للولوج إلى موضوع الخطبة التي تدور عن الصلاة والزكاة .

وفضلا عن هذا التوافق بين الاستهلال والمضمون فقد استلهم الشرنوبي كثيرا من ألفاظ ومعاني القرآن الكريم حتى تكاد تظن أن الخطبة بكاملها عبارة عن آيات من القرآن الكريم . كما يسير الشرنوبي في الخاتمة على ديدنه من الختم بحديث من أحاديث رسول الله . صلي الله عليه وسلم . .

أما أكثر شيء يمكن ملاحظته على أسلوب الشرنوبي في هذه الخطبة . بخلاف السجع المعهود . فيتمثل في قصر الجمل وتتابعها وحسن تقسيمها ؛ فمن ذلك قوله (و أقيموا الصلاة وأتوا الزكاة وأطيعوا الرسول) .

٤. الخطبة الرابعة للمحرم

" الحمد لله اللطيف بعباده عند حلول الأهوال * القريب بجليل إحسانه لمن تقرب إليه بجميل الأعمال * المسعف بعظيم أفضاله من توكل عليه في جميع الأحوال * لا إله إلا هو ليس كمثله شيء وهو السميع البصير * أحمده

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٨

وأشكره على ما أولى من النعم البهية * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله ذو المواهب السنية * وأشهد أن محمدا رسول الله صفوة البرية * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه إلى يوم المصير (أما بعد فيا عباد الله) ما هذه السهوة عن الدار الآخرة وهي المآل والمقر * وما هذه الجفوة بالأوزار الصادرة وإلى الله المستقر * وما هذه السكرة وقد أزفت الآزفة ولا أنصار آنذاك ولا وزر * وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت فلا تنفع الأنصار * يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار * وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار..... " [١] .

يبدأ الشرنوبي خطبته كالعادة بحمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على الرسول الكريم . صلي الله عليه وسلم . ثم يضمن استهلاله تمهيدا لمضمون الخطبة ؛ فيتحدث عن يوم القيامة (يوم الهول) ، وأن الله . تعالى . يصب رحمته وفضله على الإنسان في هذا اليوم ولا سيما الإنسان المحسن الذي يعد العدة للآخرة وهنا ينتقل الشرنوبي من الاستهلال إلى الموضوع بقوله (أما بعد فيا عباد الله) وبعد أن يجذب انتباه السامعين يلج إلى موضوع الخطبة وهو العمل ليوم الآخرة وعدم الغفلة عنها وينتهي كعادته بحديث من أحاديث رسول الله . صلي الله عليه وسلم . .

وفي هذه الخطبة تتحقق مجموعة من السمات الفنية ؛ أهمها :

١ . السجع : وهو سمة رئيسة في أسلوب الشرنوبي ، أبدع فيه ، وبلغ مرتبة عالية منه ؛ فنجده يستخدم السجعة الواحدة على ثلاثة فواصل والرابعة آية من القرآن الكريم ؛ كقوله :

. الحمد لله اللطيف بعباده عند حلول الأهوال

. القريب بجليل إحسانه لمن تقرب إليه بجميل الأعمال

. المسعف بعظيم أفضاله من توكل عليه في جميع الأحوال

. " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير "

---

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٩

فالشرنوبي استخدم السجع في فواصل الجمل الثلاث السابقة(الأهوال . الأعمال . الأحوال) ، وختمها بآية من القرآن الكريم .

٢. الجناس : وقع أيضا جناس في الخطبة ؛ ومن ذلك الجناس بين الفواصل السجعية السابقة (الأهوال . الأعمال . الأحوال) . وهذه قيمة فنية أخري تضاف إلى الشرنوبي أن استخدم السجع والجناس في آن واحد وبألفاظ واحدة .

٣. تكرار الاستفهام :

تردد التكرار في هذه الخطبة في أكثر من موضع ؛ والتكرار مشهود له بتحقيق قيمة موسيقية كبرى في العمل الفني وفوق ذلك يساعد على جذب الانتباه ؛ كما في قوله :

. ما هذه السهوة عن الدار الآخرة

. وما هذه الجفوة بالأوزار الصادرة

. وما هذه السكرة وقد أزفت الآزفة

والحقيقة أن التكرار هنا ليس تكرارا فحسب ، ولكنه تكرار للاستفهام (ما) مما يضيف له قيمة فنية أخري . وفوق كل هذا يخرج الاستفهام المتكرر عن مقصده الرئيس إلى غرض آخر ؛ فالاستفهام في الأمثلة الثلاثة الأولي يفيد الاستنكار والرفض ؛ فالشرنوبي يستنكر غفلة الناس عن الآخرة ؛ أما الاستفهام الرابع في قوله (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر) فيفيد التقرير ؛ حيث يؤكد الشرنوبي للناس أن وقوع القيامة يأتي كلمح البصر .

٤. التحول من الاستفهام إلى التقرير :

وتلك ميزة أخري في هذه الخطبة فنجد الجملة الواحدة تبدأ باستفهام وتنتهي بتقرير ؛ فمن ذلك قوله :

. ما هذه السهوة عن الدار الآخرة وهي المآل والمقر

. وما هذه الجفوة بالأوزار الصادرة وإلى الله المستقر

. وما هذه السكرة وقد أزفت الآزفة ولا أنصار آنذاك ولا وزر

فالشرنوبي يتساءل عن سبب السهوة ثم يلتفت متعجبا وينتقل من الاستفهام إلى التقرير بقوله (وهي المآل والمقر) ؛ ومما لاشك فيه أن مثل هذا التنقل بين الأساليب الإنشائية والخبرية لهو دليل على مقدرة الكاتب الأدبية

والحضور اللغوي ، والثروة اللغوية التي يتمتع بها ، فضلا عما يحققه مثل هذا التنوع من إثراء العمل الفني بالموسيقي ، ومن مقدرة فائقة على جذب انتباه السامعين وإثارة فكرة وإقناعهم بما يسعى الشرنوبي له من أهداف .ويسير الشرنوبي على هذا النهج في باقي الأمثلة وغيرها من المواضع المختلفة بالخطبة .

ثانيا : خطب شهر صفر :.

١. الخطبة الأولى لصفر الخير

يقول الفقيه الشرنوبي : "الحمد لله الذي له الخلق والأمر وإليه المصير * يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ولا معين له ولا وزير * ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن إنه على كل شيء قدير * لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المتوكلون * أحمده وأشكره أنقذنا من ظلمات الجهالة والضلال * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله الكبير المتعال * وأشهد أن محمدا رسول الله أرشدنا لأشرف الخصال * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه ما تلي الكتاب المكنون (أما بعد فيا عباد الله) لا يتم إلا ما قضاه الإله ولا يغني حذر من قدر * بل كل مقدور فلا محيص عن نفاذه ولا مفر * وكل ما كان فبإرادة الله ولا تأثير لمحرم أو صفر * إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون * فلا تسبوا الأعوام والدهور وعلى الله فتوكلوا * ولا تعادوا الأيام والشهور وإليه تبتلوا * وسلموا له الأمر والتدبير وبحبيبه توسلوا * واسلكوا سبيل السنة وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون * فهنيئا لمن أقبل على آخرته بأحسن أعمالا وأهمل التطير ثقة بالله وتوكلا على سعة أفضاله * واقتدى بصحيح السنة وتخلص من أوحال أحواله " [١].

بدأ الشرنوبي الخطبة بحمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على أشرف الخلق ؛ ثم استخدم عبارته المعتادة للتخلص من الاستهلال إلى المضمون الذي يتحدث عن التوكل على الله والإيمان بالقدر خيره وشره وعدم التطير وسب الدهر لأنه من خلق الله . تعالى . ؛ ولذلك نجده في الاستهلال يأتي بصفات لله . عز وجل . تتماشى وهذا المضمون ؛ فمن ذلك قوله :

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ١٠ ، ١١

. الحمد لله الذي له الخلق والأمر وإليه المصير
. يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ولا معين له ولا وزير
. ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن إنه على كل شيء قدير

وحينما يتحدث في مضمون الخطبة نجد حديثه يدور حول :

. لا يتم إلا ما قضاه الإله ولا يغني حذر من قدر
. بل كل مقدور فلا محيص عن نفاذه ولا مفر
. وكل ما كان فبإرادة الله ولا تأثير لمحرم أو صفر
. إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون
. فلا تسبوا الأعوام والدهور وعلى الله فتوكلوا
. ولا تعادوا الأيام والشهور وإليه تبتلوا

وهكذا صار الاستهلال ممهدا للمضمون ، أما من السمات الفنية المتواجدة في الخطبة ؛ ما يلي:

١. هذا السجع الذي يقوم على فواصل ثلاث ثم يضيف في الجملة الرابعة آية قرآنية ؛ كقوله :

. الحمد لله الذي له الخلق والأمر وإليه المصير
. يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ولا معين له ولا وزير
. ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن إنه على كل شيء قدير
. (وعلى الله فليتوكل المتوكلون)

فنجد السجع بين الجمل الثلاث الأولى (المصير . وزير . قدير) ويختتم بالآية القرآنية . ومازال الشرنوبي يجود في سجعه حتى نجد السجع المتوازي بين كلمات الجملتين ؛ فمن ذلك قوله :

. فلا تسبوا الأعوام والدهور وعلى الله فتوكلوا
. ولا تعادوا الأيام والشهور وإليه تبتلوا

فنجد السجع ليس في نهاية الجملتين فحسب بل بين كل لفظ في الجملة بما يقابله في الجملة الثانية (الأعوام . الأيام) ، (الدهور. الشهور) ، (توكلوا . تبتلوا) .

٢. كما نجد صورا للطباق ؛ فمن ذلك قوله : (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض) فالطباق بين السماء والأرض يفيد بشمولية قدرة الله . تعالى .

وإحكامه . تعالى . الأمر في كل مكان . كما نجد الاستعارة في قوله : (أنقذنا من ظلمات الجهالة والضلال) حيث شبه الجهالة والضلال بليل حالك وحذف الليل وأتى بشيء من لوازمه وهو الظلمات .

٣. كما نلمح معرفة الشرنوبي بما يفيده التقديم والتأخير من معان ؛ كقوله :

. وعلى الله فتوكلوا

. وإليه تبتلوا

. وسلموا له الأمر

فمما لا شك فيه أن هذا التقديم للجار والمجرور يفيد تخصيص كلا من (التوكل والتبتل وتسليم الأمر) لله . تعالى . فقط . وفي نهاية الخطبة يختتم الشرنوبي بذكر حديث من أحاديث رسول الله . صلي الله عليه وسلم .

٢. **الخطبة الثانية لصفر الخير**

يقول الفقيه الشرنوبي : " الحمد لله القديم بالإحسان * الشكور العطوف الكريم المنان * العفو الرؤوف الحليم الحنان * بالبر معروف وبالإحسان موصوف * لا إله إلا هو فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين * أحمده وأشكره على ما أولى من جميل الإحسان * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله العظيم الديان * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله حبيب الرحمن * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين (أما بعد فيا عباد الله) من تبصر رأى زخارف الدنيا هباء منثورا * ومن تدبر سعى إلى الدار الآخرة سعيا مشكورا * ومن تذكر تزود التقوى لينقلب إلى أهله مسرورا * فتذكروا واذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين * واعتبروا بعاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد * وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك صوت عذاب إن ربك لبالمرصاد * وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين * أين كنعان وهامان وقارون * أين من ملكوا الدنيا وظنوا أنهم خالدون * أين من قال الله فيهم ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون ....."[١].

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ١١، ١٢

بدأ الشرنوبي خطبته بحمد الله . تعالى . والثناء عليه . تعالى . والصلاة والسلام على رسول الله . صلي الله عليه وسلم . ثم يستخدم جملته المعهودة للانتقال من الاستهلال إلى المضمون وهي قوله (فيا عباد الله) ، أما المضمون فيدور حول ضرورة التوبة لله ت تعالى . والاتعاظ بما جري لفرعون وعاد وثمود وغيرهم مما حل عليهم غضب الله . تعالى . والحقيقة أننا لا نجد ترابطا واضحا بين الاستهلال والمضمون فالاستهلال يتحدث عن إحسان الله . تعالى . وكرمه وعطفه أما مضمون الخطبة فيتحدث عما حل بفرعون وعاد وثمود من عذاب .

وقد تحقق في هذه الخطبة مجموعة من السمات الفنية يأتي السجع على رأس قائمتها ؛ كقوله :

. الحمد لله القديم بالإحسان

. الشكور العطوف الكريم المنان

. العفو الرؤوف الحليم الحنان

فنجد صنوفا من السجع ؛ فلا يكتفي الشرنوبي بهذا السجع الذي يأتي في نهاية الفواصل بل يأتي بسجع بين أكثر من كلمة في الجملة الأولى وما يقابلها في الجمل التالية (القديم بالإحسان . الكريم المنان . الحليم الحنان) . وفضلا عن السجع فثمة جناس بين أكثر من كلمه (القديم . الكريم . الحليم) ، كما تتحقق الاستعارة في الخطبة في أكثر من موضع كقوله : (تزود التقوى)؛ حيث شبه الشرنوبي التقوي بشيء مادي وحذف هذا الشيء المادي وأتى بشيء من لوازمه وهي التزود ، وكذلك قوله (واخلعوا ملابس العصيان) [١] حيث شبه العصيان بإنسان وحذف الإنسان وأتي بشيء من لوازمه وهي خلع الملابس .

كما يؤدي التكرار في هذه الخطبة دورا مهما في البناء الفني لها ؛ حيث بنى الشرنوبي معانيه عليه ، وذلك في قوله :

. أين كنعان وهامان وقارون

. أين من ملكوا الدنيا وظنوا أنهم خالدون

. أين من قال الله فيهم ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ١٢

فتكرار الاستفهام هنا يجعله الشرنوبي متكئا لعطف المعاني بعضها على بعض وبناء جمل جديدة وإن كانت تؤدي نفس المعني مما يضفي صبغة موسيقية على أسلوبه فضلا عما يضفيه هذا التكرار من تأكيد على المعني المقصود .

٣. **الخطبة الثالثة لصفر الخير**

يقول الشرنوبي :" الحمد لله المنزه في كماله عن الكيفية والأينية * المقدس في جلاله عن الضدية والندية * المتعالي بألوهيته عن الفوقية والتحتية * لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير * أحمده وأشكره على ما أولى من مواهب الجود والكرم * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله مفيض الإحسان والنعم * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله سيد العرب والعجم * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسهل لنا كل أمر عسير (أما بعد فيا عباد الله) لا فرار من المنون وإن تطاولت الآجال * ولا انتصار لدى النشور إذا تراكمت الأهوال * ولا اعتذار من الذنوب إذا تحررت الأعمال * فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير * كيف الاعتذار ولله الحجة البالغة على عباده * وكيف الانتصار وكل امرئ مشغول بنفسه في معاده * وكيف الفرار ولا فرار لمن حاد عن طريق هديه ورشاده * وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم إنه بما يعملون خبير * فما هذه الشهوات وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور * وما هذه السهوات وكل شيء من الأعمال مسطور * أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الأرض فاذا هي تمور."[١]

بدأ الشرنوبي خطبته بحمد الله . تعالى . والثناء عليه ،والصلاة والسلام على رسول الله . عليه الصلاة والسلام . ، ثم تخلص من الاستهلال بجملته المعهودة (أما بعد فيا عباد الله) ثم يدخل إلى مضمون الخطبة الذي يدور حول حتمية الموت ، ووجوب الحساب ، والحقيقة أنه لا توجد علاقة مباشرة بين الاستهلال ومضمون الخطبة ، ثم يختتم الخطبة كعادته بحديث شريف من أحاديث رسول الله . صلي الله عليه وسلم . .

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ١٣

أما من الناحية الفنية فقد تضمنت الخطبة مجموعة من السمات الفنية ؛ أهما :

. السجع الذي لم يحد عنه الشرنوبي حتى الآن واتخذه سبيلا في كل خطبه ؛ هذا السجع الذي تجاوز الكلمة الأخيرة من كل جملة ليكون بين أكثر من كلمة بين الجمل الثلاث ؛ فمن ذلك قوله:

. المنزه في كماله عن الكيفية والأينية
. المقدس في جلاله عن الضدية والندية
. المتعالي بألوهيته عن الفوقية والتحتية

فنجد السجع بين الكمات داخل الجمل في قوله (كماله . جلاله . ألوهيته) وكذلك (الكيفية والضدية والفوقية) كما نجد السجع المعهود في نهاية فواصل الجمل الثلاث (الأينية . الندية . التحتية) .

. التكرار : لم يأت التكرار في هذه الخطبة من أجل الموسيقي فحسب ؛ بل جاء ليمثل وسيلة الخطيب في التنقل من فكرة لأخرى والتأكيد على المعاني التي يريدها ؛ فمن ذلك تكرار النفي في قوله (لا فرار من المنون وإن تطاولت الآجال * ولا انتصار لدى النشور إذا تراكمت الأهوال* ولا اعتذار من الذنوب إذا تحررت الأعمال) ، وكذلك تكرار الاستفهام في قوله (كيف الاعتذار ولله الحجة البالغة على عباده * وكيف الانتصار وكل امرئ مشغول بنفسه في معاده* وكيف الفرار ولا فرار لمن حاد عن طريق هديه ورشاده) وكذلك في قوله (فما هذه الشهوات وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور * وما هذه السهوات) وفضلا عن تكرار الاستفهام فقد خرج الاستفهام في هذين المثالين من المعني الحقيقي للاستفهام ليراد به معنى آخر ؛ فتكرار (كيف) في المثال الأول يفيد النفي ، أما تكرار (ما) في المثال الثاني فيفيد الاستنكار .

٤. الخطبة الرابعة لصفر تقال عند قدوم الحجاج

يقول الشرنوبي : " الحمد لله الذي متع بمشاهدة بيته الحرام * من أراده وجمله ببهجة الأنوار وأنجح سؤله ومراده * وكمله بزيارة المختار فكان له الحسنى وزيادة * هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين * أحمده وأشكره على ما أولى من مواهب الإنعام * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله

واسع الإفضال والإكرام * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله سيد الرسل الكرام * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه كل وقت وحين (أما بعد فيا عباد الله) فاز بالمعالي من تعرف إلى الرحمن فلباه بعرفات * وحاز المنى والأماني من شاهد معالم منى ورمى الجمرات * ونجح ببلوغ التهاني من أفاض بالبيت الحرام فأفيضت عليه البركات * إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين * فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا من العذاب الأليم * فيا سعادة الحجاج أحسنوا وأموا بيت الغني الكريم * فأولاهم مواهب الإنعام أن الله لا يضيع أجر المحسنين * ويا بشراهم شاهدوا الكعبة البهية وصلوا خلف المقام * وحطمت ذنوبهم في الحطيم وبلغوا بشراب زمزم المرام * ونودوا لنادي الصفا فسعوا ببهجة الإنس لباب السلام ." [١]

يبدأ الشرنوبي خطبته بحمد الله . تعالى . والثناء عليه والصلاة والسلام على رسول الله . صلي الله عليه وسلم . ثم الانتقال إلى مضمون الخطبة الذي يدور حول عودة الحجاج بجملته المعهودة سابقة الذكر . وهو في هذه الخطبة يراعي في الاستهلال التمهيد لمضمون الخطبة فنجده يتحدث في الاستهلال عن متعة زيارة بيت الله الحرام وزيارة المصطفي المختار .

كما ارتكزت الخطبة فنيا على السجع الذي ألزم به نفسه في مقدمة الديوان ؛ فمن ذلك قوله (فاز بالمعالي من تعرف إلى الرحمن فلباه بعرفات * وحاز المنى والأماني من شاهد معالم منى ورمى الجمرات * ونجح ببلوغ التهاني من أفاض بالبيت الحرام فأفيضت عليه البركات *) فنجد السجع فقط في نهاية فواصل الجمل (عرفات . الجمرات . البركات) .

ثالثا : خطب شهر ربيع الأول :

١. الخطبة الأولى لربيع الأول

يقول الشرنوبي : " الحمد لله الذي أبدع الأكوان من نور جمال الحضرة المحمدية * وأودع المختار في أصلاب الأخيار وطهره من سفاح الجاهلية * حتى ظهر في اثنى عشر من ربيع الأول على أكمل صورة مرضية * فكان ربيعا للأبرار بالمؤمنين رؤوف رحيم * أحمده وأشكره على كمال الإنعام بسيد

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ١٤.١٥

ولد عدنان * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله عظيم التفضل والإحسان * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله صفوة الكريم المنان * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وامنحنا النظر إلى وجهك الكريم (أما بعد فيا عباد الله) لم تزل أنوار المختار تنتقل من أكرم الجباه والظهور وتتوارث وصايا الأخيار باختيار المطهرات على مر الدهور * حتى أراد الله إبراز السر المكنون إلى عالم الظهور * فجمع بين أبويه بصحيح النكاح ذلك تقدير العزيز العليم * فحملت به آمنة البرة الطاهرة النقية * وقيل لها حملت بسيد العالمين وخير البرية * فسميه محمدا فإنه ستحمد عاقبته المرضية * فكان كما قال الله وإنك لعلى خلق عظيم * ولد صلى الله عليه وسلم نظيفا ظريفا مختونا مسرورا * ساجدا لذي الجلال رافعا رأسه مشيرا إلى السماء مسرورا ." [١].

يبدأ الشرنوبي خطبته بحمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على أشرف الخلق ؛ ثم التخلص بعبارته المشهورة إلى مضمون الخطبة وهو مولد الرسول . صلي الله عليه وسلم . والحقيقة أن مضمون الخطبة يتماشي مع أهم حدث تم في شهر ربيع الأول وهو مولد الرسول . صلى الله عليه وسلم . كما جعل الشرنوبي من استهلال الخطبة تمهيدا للمضمون ؛ فقرن حمد الله . تعالى . بما وهبه للبشرية من مولد سيد الخلق في هذا الشهر. أما من الناحية الفنية فقد تحققت في الخطبة بعض السمات الفنية ؛ أهمها :

. السجع ؛ الذي بنيت عليه هذه الخطبة وجميع خطبه وتكرر في أكثر من موضع ؛ فمن ذلك قوله (فحملت به آمنة البرة الطاهرة النقية * وقيل لها حملت بسيد العالمين وخير البرية * فسميه محمدا فإنه ستحمد عاقبته المرضية) ؛ فنجد السجع في نهاية فواصل الجمل الثلاث السابقة وهي على الترتيب (النقية . البرية . المرضية)

. الجناس : كالجناس التام بين لفظتي (الظهور . الظهور) وذلك في قوله : (تنتقل من أكرم الجباه والظهور وتتوارث وصايا الأخيار باختيار المطهرات على مر الدهور * حتى أراد الله إبراز السر المكنون إلى عالم الظهور)

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ١٦

. الطباق كذلك وقع طباق في الخطبة مثل الطباق بن لفظتي (المكنون . الظهور) وذلك في قوله (حتى أراد الله إبراز السر المكنون إلى عالم الظهور)

٢. الخطبة الثانية لربيع الأول

يقول الشرنوبي :" الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله * وأرسل سحائب جوده عليه لإتمام نعمته وفضله * وأنزل أشرف كتبه إليه لزيادة قربه ووصله * وأكمل تشريفه لديه بقوله وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين * أحمده وأشكره على نعمة الإيمان والإسلام * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله القدوس السلام * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله أفضل الرسل الكرام * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين (أما بعد فيا عباد الله) إن شهركم هذا تحلى بحلى السعادة وجمال الشرف * وتجلى بعلا السيادة وكمال التحف * وتبدت محاسن طلعته بالأنوار تحف * حيث بعث كما ولد فيه رسول الله وخاتم النبيين * أرسل صلى الله عليه وسلم رحمة مهداه لجميع الأنام * وعمت رسالته الإنس والجن والملائكة الكرام * وفضله على جميع الأنبياء والرسل الأعلام * بل هو رسول المرسلين لآية وإذ أخذ الله ميثاق النبيين * فسبحان من اصطفاه واجتباه لنفسه وفضله على أنبيائه وملائكته قدسه * وأطلعه على المغيبات وأجلسه على بساط أنسه * وأنزل عليه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * وناداه يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ..... "[١]

بدأ الشرنوبي الخطبة بحمد الله . تعالى . والثناء عليه والصلاة والسلام على أشرف الخلق ثم يتخلص بعبارته المعهودة إلى صلب الموضوع وهو الحديث عن بعثة الرسول . صلي الله عليه سلم . وقد جعل الشرنوبي استهلال خطبته تمهيدا وتوطئة للموضوع ، فحمد الله . تعالي . أن بعث للعالمين رسولا يهديهم إلى الطريق المستقيم ؛ يقول الشرنوبي :" الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله * وأرسل سحائب جوده عليه لإتمام نعمته وفضله * وأنزل أشرف كتبه إليه لزيادة قربه ووصله" ، فكان هذا بمثابة المدخل الذي يلج من خلاله للحديث عن بعثة الرسول . صلي الله عليه وسلم .

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ١٨

أما فيما يتعلق بالسمات الفنية فد تحققت في هذه الخطبة مجموعة من السمات الفنية أهمها :

. السجع : ولقد راهن الشرنوبي عليه وجعله مضمار السبق عنده وتكرر في كل خطبه وكذلك في هذه الخطبة في أكثر من موضع ؛ فمن ذلك قوله : " * أرسل صلى الله عليه وسلم رحمة مهداه لجميع الأنام * وعمت رسالته الإنس والجن والملائكة الكرام * وفضله على جميع الأنبياء والرسل الأعلام " ؛ فالسجع قائم بين (الأنام . الكرام . الأعلام) .

. الاستعارة : وقعت الاستعارة في أكثر من موضع بالخطبة ؛ فمن ذلك قول الشرنوبي : (إن شهركم هذا تحلى بحلى السعادة) حيث شبه الشاعر السعادة بشيء مادي يتزين به وحذف هذا الشيء المادي وأتي بشيء من لوازمه وهو (يتحلي) ، كما شبه الشهر بإنسان يرتدي الزينة وحذف الإنسان وأتى بشيء من لوازمه وهو (التحلي) ، كما وقعت الاستعارة في قوله (وأرسل سحائب جوده عليه) حيث شبه الجود من كثرته بالمطر وحذف المطر وأتي بشيء من لوازمه وهو (سحائب) .

٣. الخطبة الثالثه لربيع الأول

يقول الشرنوبي في هذه الخطبة : " الحمد لله الذي وفق من هاجر إليه لسبيل مرضاته * ووجه له القبول وأصبغ عليه جميل هيباته* ووقاه مكائد الشيطان ومكاره آفاته * يدبر الأمر من السماء إلى الأرض وهو بكل شيء عليم * أحمده وأشكره وهدى من أراد لسلوك سبيل الرضوان * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله ذو المواهب الحسان * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله صفوة الكريم المنان * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وعمنا بفضلك العميم (أما بعد فيا عباد الله) قد عظمت لديكم فضائل هذا الشهر حيث ولد فيه الحبيب المطهر * وأرسل فيه رحمة للعالمين فكان أفضل من أنذر وبشر * وهاجر فيه إلى المدينة فانتشر الإسلام وتزايد الحظ الأوفر * وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم * وقد جرت عادة الله أن يرفع من تواضع لحضرته القدسية * ويدفع من ترافع بنفسه عن المراتب العلية * ويمنح الإقبال من توكل عليه ويُبلغه الأمنيِّة * ويفتح الأبواب لمن سلم

الأمر وأتى بقلب سليم * وقد سلم النبي صلى الله عليه وسلم أمره إلى العزيز الغفار..... " [١] .

ما زال الشرنوبي يعدد فضائل شهر ربيع الأول ؛ فتحدث في الخطبة الأولى عن مولده . صلي الله عليه وسلم . وتحدث في الثانية عن بعثته . صلى الله عليه وسلم . والآن يتحدث عن هجرة المسلمين ، فيتخذ الشرنوبي من الاستهلال مدخلا للحديث عن موضوع الخطبة وهو هجرة المسلمين ؛ فيقول في الاستهلال : (الحمد لله الذي وفق من هاجر إليه لسبيل مرضاته * ووجه له القبول وأصبغ عليه جميل هيباته* ووقاه مكائد الشيطان ومكاره آفاته) فبداية الخطبة تتفق وموضوع الخطبة وتمهد له وتجعل المتلقي يستقبل الموضوع الرئيس بالخطبة في قناعة تامة وهذا ما يسمي بالمدخل الممهد للموضوع ، كما يختتم الخطبة كعادته بحديث شريف من أحاديث رسول الله . صلي الله عليه وسلم . .أما عن السمات الفنية فقد تحققت أكثر من سمة فنية مثل :

. السجع : مازال السجع هدف الشرنوبي الأعلى في مجال الإبداع الفني فتجده في كل ثنايا الخطبة ؛ففي التمهيد يقول : (الحمد لله الذي وفق من هاجر إليه لسبيل مرضاته * ووجه له القبول وأصبغ عليه جميل هيباته* ووقاه مكائد الشيطان ومكاره آفاته *) فالسجع وقع في نهاية فواصل الجمل بين المفردات (مرضاته . هيباته . آفاته).

ـ المقابلة : وردت المقابلة أيضا وتمثلت بين مفردتي (أنذر . بشر) وذلك في قوله : (و أرسل فيه رحمة للعالمين فكان أفضل من أنذر وبشر) .

ـ التأثر بالأسلوب القرآني : ما زال الشرنوبي ينهل من ألفاظ القرآن ومعانيه ما يعكس ثقافته الدينية الواسعة حتى أنه يأتي بآية قرآنية بعد كل ثلاث فواصل سجعية ، كما يأتي بجمل تتضمن معان من آيات القرآن الكريم .

٤. الخطبة الرابعة لربيع الأول :

يقول الشرنوبي :" الحمد لله الباقي بعد فناء خلقه فلا يلحقه عدم * المتعالي في جلال كماله بالوحدانية والقدم * المنزل على أشرف أنبيائه سيد

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ١٩

العرب والعجم * إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون * أحمده وأشكره على جميع الأحوال سرا وجهرا * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله موفي الصابرين أجرا * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله أكمل المرسلين قدرا * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه ما دارت على الأنام رحى المنون (أما بعد فيا عباد الله) إن الله قد حكم بالفناء على جميع البرية * فلا مفر لأحد من تجرع مرارة كأس المنية * ولا طمع في الخلود لاختصاص بفضيلة أو مزية * قال تعالى كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون * وقد فضل الحبيب المختار على جميع الأنام * واختص بالمزايا السنية عن سائر الرسل الكرام * ومع ذلك نعاه الحنان المنان القدوس السلام بقوله سبحانه إنك ميت وإنهم ميتون * حُمَّ صلى الله عليه وسلم لليلتين بقينا من صفر وانتقل في مثل هذا الشهر إلى الآخرة دار المقر ....." [١].

استهل الشرنوبي خطبته بحمد الله . تعالى . والصلاة والسلام على رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ ثم يتخذ من هذا الاستهلال توطئة ومدخلا لمضمون الخطبة فيتحدث فيه عن حكمة الله . تعالى . في حكم الفناء على جميع البشرية وأنه لا باق إلا الله . تعالى . ؛ ثم يخلص من الاستهلال بجملته المعهودة (أما بعد فيا عباد الله) ؛ ثم يتحدث في مضمون الخطبة وهو انتقال رسول الله . صلي الله عليه وسلم . إلى الرفيق الأعلى ويختتم خطبته بحديث شريف من أحاديث الرسول . صلي الله عليه وسلم . وقد تحققت في هذه الخطبة مجموعة من السمات الفنية أهمها :

. السجع : بنى الشرنوبي خطبته على السجع ، فجعل السجع على ثلاث فواصل وجاء في الفاصلة الرابعة بآية من القرآن الكريم ؛ فمن ذلك قوله : (إن الله قد حكم بالفناء على جميع البرية * فلا مفر لأحد من تجرع مرارة كأس المنية * ولا طمع في الخلود لاختصاص بفضيلة أو مزية * قال تعالى كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون)؛ فنجد السجع بين (البرية ، المنية . مزية).

. الاستعارة : جاءت الاستعارة في أكثر من موضع بالخطبة ؛ فمن ذلك قوله :(فلا مفر لأحد من تجرع مرارة كأس المنية) حيث شبه المنية بشيء

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٢٠

ذي مرارة يشرب وحذف هذا الشيء وأتي بشيء من لوازمه وهو (تجرع). كما تحققت الاستعارة في قوله : (ما دارت على الأنام رحى المنون) حيث شبه المنون بالآلة التي تفتك بالناس وحذف هذه الآلة وأتي بشيء من لوازمها وهي الرحي .

. الجناس : وقع جناس أيضا بين مفردتي (الحنان . المنان) .

. الطباق : وقع طباق بين مفردتي (سرا وجهرا) . ولا يمكن إغفال ما تحققه هذه السمات الفنية من سجع واستعارة وجناس وطباق من موسيقي في العمل الفني ، فضلا عن جذب انتباه السامعين .

رابعا : خطب شهر ربيع الثاني :

١. الخطبة الأولى لربيع الثاني :

قال الشرنوبي :" الحمد لله المقدس في جلاله المنزه في كماله الواحد في أفعاله * لا إله إلا هو إليه المصير * أحمده وأشكره على نعم لا تحصى * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله ذو المواهب التي لا تستقصى * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله سيّدُ من للمكارم أحصى * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وكلِّ معينٍ ونصير (أما بعد فيا عباد الله) كم بارزتم رسولكم بكثره المعاصي والأوزار * وسارعتم بهواكم إلى اقتحام الكبائر آناء الليل وأطراف النهار * واتبعتم خطوات الشيطان وتركتم مراقبة العزيز الجبار * وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير * فإلى متى الفتور عن الطاعات والتطاول في الآمال * وحتام العدول على المخالفات وقد أزفت الآزفه ودنت الآجال * وعلامة الذهول عن السيئات وقد علمها الخلاق ذو الجلال * ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير * كيف أنتم إذا نشر الكتاب وظهرت الصحائف بالذنوب سود * كيف أنتم إذا حرر الحساب وبدت القبائح والأعضاء شهود * كيف أنتم إذا تميزت الأحوال يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود * كيف أنتم إذا أقيمت حجة أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير....." [١].

استهل الشرنوبي خطبته بحمد الله والثناء عليه ، والصلاة والسلام على

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٢٢

رسول الله . صلي الله عليه وسلم . ثم استخدم جملته المعهودة في التخلص من الاستهلال إلى المضمون وهي قوله (أما بعد فيا عباد الله) ، ثم يعرض لمضمون خطبته التي تدور حول تذكير السامعين بالآخرة وضرورة التنبه لعمل الصالحات والتيقظ من الغفلة ، ثم يختتم خطبته بطريقته المعهودة وهي ذكر حديث من أحاديث النبي . صلى الله عليه وسلم .

والحقيقة أن الاستهلال في هذه الخطبة استهلال عام يصلح لأن يكون تمهيدا لأي غرض ؛ فهو استهلال لا ينبئ عن موضوع الخطبة ولا ينم عنها . أما عن السمات الفنية التي تحققت في هذه الخطبة فأهمها ما يأتي :

السجع : مازال السجع يتردد في ثنايا العمل الفني ويشكل الحجر الأساس في البناء الفني لخطب الشرنوبي بصفة عامة ، وهذه الخطبة تسير على هذا النهج ؛ فنجد السجع في أكثر موضع من الخطبة ؛ فمن ذلك قوله : (الحمد لله المقدس في جلاله المنزه في كماله الواحد في أفعاله) فنجد السجع على النحو الآتي :

. المقدس في جلاله

. المنزه في كماله

. الواحد في أفعاله

فالسجع جاء بين المفردات (جلاله . كماله . أفعاله)

. الاستفهام : استخدم الشرنوبي الاستفهام في أكثر من موضع؛ فمن ذلك قوله:

. كيف أنتم إذا نشر الكتاب وظهرت الصحائف بالذنوب سود

. كيف أنتم إذا حرر الحساب وبدت القبائح والأعضاء شهود

. كيف أنتم إذا تميزت الأحوال يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود

. كيف أنتم إذا أقيمت حجة ....

وهكذا نجد الاستفهام في بداية الجمل السابقة والذي خرج عن المعني الرئيس للاستفهام إلى معنى جديد وهو استنكار الشرنوبي من استمرار الناس في غفلتهم . فضلا عما يحققه تكرار الاستفهام من موسيقى في النص الأدبي وقدرته على جذب انتباه المتلقيين .

٢. الخطبة الثانية لربيع الثاني :

يقول الشرنوبي : " الحمد لله جامع الناس ليوم لا ريب فيه * مانع

البأس عمن أناب وبالإحسان موافيه * واسع الحلم والعلم بظاهر الأمر وخافيه * عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون * أحمده وأشكره على ما تفضل به من جزيل المواهب * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله المعطي جليل المطالب * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله كنز اللطائف والرغائب * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه إلى يوم يبعثون (أما بعد فيا عباد الله) كم منحكم مولاكم بآلائه الباهرة السنية * وأتاكم من كل ما سألتموه وأجزل لكم العطية * ودعاكم بآياته الظاهرة إلى توحيد ذاته القدسية * ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون * فقابلتم نعمه عليكم بإنكار فضله وبره * وسارعتم إلى انتهاك الحرمات غير ناظرين لبأسه وقهره * ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون * فيقع هنالك الحساب والجزاء ثوابا وعقابا * يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا ....." [١]

لم يختلف الاستهلال هنا عن الاستهلال في الخطبة السابقة من كونه استهلالا عامّا ، يصلح أن تبني عليه أي موضوع للخطبة فيما بعد وإن كان من ربط بين الاستهلال والموضوع ؛ فهو ربط بين رحمة الله وبأسه كما جاء في الاستهلال ، وبين غفلة الناس واستهتارهم بالمعاصي دون نظر الناس لرحمة ربهم أو سطوته . وفي النهاية يختتم الشرنوبي بحديث من أحاديث رسول الله . صلى الله عليه وسلم . . أما من جهة السمات الفنية التي ظهرت في الخطبة فأبرزها ما يأتي :

. السجع : تواجد السجع بصورة مكثفة في الخطبة ؛ والتزم بمنهجة الذي خطه في المقدمة ؛ ثلاث سجعات وآية قرأنية ؛ فمن ذلك قوله : (كم منحكم مولاكم بآلائه الباهرة السنية * وأتاكم من كل ما سألتموه وأجزل لكم العطية * ودعاكم بآياته الظاهرة إلى توحيد ذاته القدسية * ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) . فنجد السجع في نهاية الفواصل للجمل الثلاثة السابقة وهي : (السنية . العطية . القدسية) ثم يأتي بآية قرآنية بعد الفواصل الثلاث .

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٢٣

ـ الجناس : وقع جناس في قوله (واسع الحلم والعلم بظاهر الأمر وخافيه) بين مفردتي (الحلم والعلم) .

. الطباق : وقع طباق في الخطبة في أكثر من موضع ؛ فمن ذلك قوله :

ـ واسع الحلم والعلم بظاهر الأمر وخافيه ؛ فالطباق بين لفظتي (ظاهر . خافيه)

. ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ؛ فالطباق هنا بين لفظتي (السماء والأرض)

ـ فيقع هنالك الحساب والجزاء ثوابا وعقابا ؛ فالطباق هنا بين لفظتي (ثوابا . عقابا)

وأخيرا فقد زخرت هذه الخطبة بتنوع السمات الفنية من سجع وجناس وطباق .وكذلك استشهاد بآيات من القرآن الكريم والحديث الشريف .

٣. الخطبة الثالثة لربيع الثانى :

يقول الشرنوبي " الحمد لله رب العالمين ربَّانا بإحساناته العلية * الرحمن الرحيم هدانا برحمته إلى السعادة السرمدية * مالك يوم الدين فلا مفر من العرض عليه لأحد من البرية * لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب * أحمده وإياه أعبد وبه أستعين * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله هدى من أنعم عليهم إلى الصراط المستقيم المستبين * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله جاهد الذين غضب الله عليهم وكانوا من الضالين * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه ذوي الصدق والصواب (أما بعد فيا عباد الله) أقبل المتقون على الله ففازوا بجنة عالية قطوفها دانية * وقام الطائعون بين يديه فسعدوا بعزة باقية وعيشة راضية * وأخلص الواصلون إليه فنودوا كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية * أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب * وقد اتبعتم خطوات الشيطان فكنتم عن الطاعات غافلين * وغرتكم الآمال والأمانى فملتم عن ذلك المقام الأمين * وزين لكم حب الشهوات من النساء والأموال والبنين ....." [١]

ما زال الشرنوبي يقدم خطبته بهذا الاستهلال العام الذي يصلح أن يكون

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٢٤ ، ٢٥

مقدمة وتهيئة لأي غرض رئيس ، وما زال يستخدم جملته المعهودة في التخلص من المقدمة إلى الموضوع ؛وهو قوله (أما بعد فيا عباد الله) ، كما أن الموضوع الذي اعتمده في خطبته خال من أي مناسبة دينية ، وإنما يقوم في جوهره على المقارنة بين حالتين ؛ أما الحالة الأولى فتتمثل في أولئك الذين أخلصوا لله . تعالى . وقدموا الطاعات فجزاهم الله . تعالى . وأما الحالة الثانية فهي حالة الناس من حوله وقد ألهتهم الدنيا عن الأخرة . ثم يختتم بحديث من أحاديث رسول الله . صلي الله عليه وسلم . أما أهم السمات الفنية التي جاءت في الخطبة فأهمها :

ـ السجع : أقبل الشرنوبي على السجع بكل ما ملكت موهبته الأدبية وثروته اللغوية وحسه المرهف ؛ فجادت به قريحته ، وجاء عفوا وسلسا لا غموض فيه ولا تعقيد ، ساعده في ذلك دراسته الأزهرية واطلاعه على أمهات الكتب ، وشرحه الغزير لمتون بعض القصائد التعليمية. ولقد حضر السجع بقوة في هذه الخطبة ؛ فمن ذلك قوله : (أقبل المتقون على الله ففازوا بجنة عالية قطوفها دانية * وقام الطائعون بين يديه فسعدوا بعزة باقية وعيشة راضية * وأخلص الواصلون إليه فنودوا كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية) ، فنجد السجع بين المفردات (عالية . دانية . باقية . راضية . الخالية) . وغير ذلك من المواضع التي حضر فيها السجع بقوة .

الجناس : وقع الجناس في أكثر من موضع ؛ فمن ذلك قوله : (هدى من أنعم عليهم إلى الصراط المستقيم المستبين) ؛ حيث وقع جناس بين مفردتي (المستقيم والمستبين) ، كما وقع جناس في قوله : (وقام الطائعون بين يديه فسعدوا بعزة باقية وعيشة راضية) ؛ حيث وقع جناس بين مفردتي (باقية . راضية) وغير ذلك من المواضع التي وقع فيها الجناس .

الاستعارة : فمن ذلك قوله (وغرتكم الآمال والأمانى فملتم عن ذلك المقام الأمين) حيث شبه الأماني والآمال بشيء مادي يغري وحذف هذا الشيء المادي وأتى بشيء من لوازمه وهو قوله (غرتكم) .

٤. الخطبة الرابعة لربيع الثاني :

قال الشرنوبي: " الحمد لله السميع البصير * العلي عن الشبيه والنظير * الغني عن المعين والنصير * إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون *

أحمده وأشكره على ما أولى من جزيل النعم * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله واسع الإفضال والكرم* وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله سيد العرب والعجم * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه كلما ذكرك الذاكرون (أما بعد فيا عباد الله) كم أفرطتم في المعاصي وفرطتم في الطاعات * ونسيتم يوم الأخذ بالنواصي وأسرفتم في المخالفات * وغفلتم عن قول الجبار بارئ الأرض والسماوات * قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون * فما هذه الغفلة وزلزلة الساعة شيء عظيم * وما هذه السهوة وهول القيامة أمر جسيم * وما هذه السكرة وسكرة المنون خطبها أليم * ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون * كيف حال المفرط إذا بلغت الروح التراقي وقيل من راق * وظن أنه الفراق * والتفت الساق بالساق * وعَظُمَتِ المشاقُّ وكان إلى ربك يومئذ المساق * وحرر الحساب وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون * فتذكروا الوقوف بين يدي الجبار واسلكوا أقوم سنن ....." [١].

ما زال الشرنوبي يتحدث في موضوعات دينية عامة وما زال يلح على فكرة واحدة وهي غفلة الناس عن الآخرة والإسراف في المخالفات والتفريط في الطاعات وما زال الشرنوبي يعيد على مسامع الناس أنهم إلى ربهم لراجعون ويذكرهم بالآخرة ، حتى بدت تلك الموضوعات أنها مكررة. وفي ذلك نلاحظ مقدرة الشرنوبي على التعبير عن معان متقاربة بأساليب متباينة ، وبألفاظ متعددة ، إنه يستطيع التعبير عن المعنى الواحد بطرق شتى وهذا شكل من أشكال الإبداع اللغوي والفني وميزة جديدة تضاف إلى أسلوب الشرنوبي الأدبي . أما عن السمات الفنية الخاصة بهذه الخطبة فأهما ما يأتي :

ـ السجع : الذي لم ينفك عنه وقد اتخذه عهدا على نفسه في مقدمة ديوان خطبه ، ومنهاجا ألزم نفسه به وقد صدق عهده ، وصح منهجه الذي اعتمده في مقدمته . حتى هذه الخطبة . فجاء السجع على ثلاث فواصل ثم أتبعهم بآية من القرآن الكريم ؛ فمن ذلك قوله : (فما هذه الغفلة وزلزلة الساعة شيء عظيم * وما هذه السهوة وهول القيامة أمر جسيم * وما هذه السكرة وسكرة المنون خطبها أليم * ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٢٦

خبير بما تعملون) . وفي هذا السجع لم يلتزم الشرنوبي بعهده الذي قطعه على نفسه في المقدمة بأن يأتي السجع على ثلاث فواصل بل زاد فأضاف سجعا في أوساط الجمل ؛ فإذا أعدنا النظر في الفقرة السابقة نجد السجع جاء كالآتي :

فما هذه الغفلة وزلزلة الساعة شيء عظيم

وما هذه السهوة وهول القيامة أمر جسيم

وما هذه السكرة وسكرة المنون خطبها أليم

فالجمل الثلاث السابقة جاء السجع فيها على مرحلتين ؛ أما المرحلة الأولي فتتمثل في السجع في نهاية كل فاصلة ؛ وذلك في المفردات (عظيم . جسيم . أليم) . أما المرحلة الثانية فتتمثل في السجع في أوساط الجمل ؛ وذلك في قوله (الغفلة . السهوة . السكرة) .

. الجناس : قد وقع جناس ناقص وذلك في قوله : (الحمد لله السميع البصير * العلي عن الشبيه والنظير * الغني عن المعين والنصير) وذلك بين مفردات (البصير . النظير . النصير) فضلا عما فيها من جناس .

ـ المقابلة : كما وقعت المقابلة في قوله (كم أفرطتم في المعاصي وفرطتم في الطاعات) .

. الاستفهام : كما وقع الاستفهام في الخطبة في أكثر من موضع ؛ فمن ذلك قوله : (فما هذه الغفلة وزلزلة الساعة شيء عظيم * وما هذه السهوة وهول القيامة أمر جسيم * وما هذه السكرة وسكرة المنون خطبها أليم) وقد خرج الاستفهام عن المعنى الرئيس ليفيد معنى جديدا وهو الاستنكار والحض على الطاعة .

التكرار : وهو أيضا من السمات الأسلوبية التي اتسم بها الشرنوبي سواء كان تكرار في الألفاظ أو تكرار في المعاني ؛ فمن ذلك قوله (فما هذه الغفلة وزلزلة الساعة شيء عظيم * وما هذه السهوة وهول القيامة أمر جسيم * وما هذه السكرة وسكرة المنون خطبها أليم) فتكرار الاستفهام يسلط الضوء على القضية التي يعالجها الشرنوبي . وكما تتضمن الفقرة السابقة تكرارا لفظيا فهي أيضا تتضمن تكرارا في المعنى ؛ فالمفردات (الغفلة والسهوة والسكرة) تكاد تقترب في المعنى أو. إن شئت فقل . تدلل على معنى معين يريده الشرنوبي .

. خامسا : خطب شهر جمادي الأولى :

١. الخطبة الأولى لجمادى الأولى :

يقول الشرنوبي " الحمد لله الذي أنشأنا من العدم إلى الوجود * وأتحفنا بواسع الكرم والجود * وتوجنا بتاج المعزة والسعود * أخرجنا من الظلمات إلى النور* إن الله بالناس لرؤوف رحيم * أحمده وأشكره على نعمة الإسلام والإيمان * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله الكريم المنان * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله حبيب الرحمن * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وعاملنا بفضلك العميم (أما بعد فيا عباد الله) إلى متى التفريط في الطاعة وقد جاءكم النذير * وحتام الإصرار على الإساءة والظالمون ما لهم من نصير * وعلام الإعراض عن الآخرة وعمر الدنيا قصير * تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم * كيف تركنون إلى أهل الفسوق والعصيان وأولئك هم الغافلون * وكيف تمرحون في ميدان اللهو والطغيان وما الله بغافل عما تعملون * وكيف تقتدون بحزب الشيطان والبهتان وأولئك هم الخاسرون * لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم * يوم يدعون إلى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون ....." [١] .

تعد هذه الخطبة أفقر خطب الشرنوبي حتى الآن فلا جديد فيها ، بل تكاد تكون معانيها مكررة من الخطب السابقة ؛ فلا معنى جديد ؛ فالخطبة تدور في الاستهلال حول حمده لله . تعالى . بصفته الخالق لعباده ، الرحيم بهم ، الذي هدانا للإسلام ؛ ثم يتخلص من تلك المقدمة التي لا تنبئ عن موضوع الخطبة بل تنفصل كثيرا عنه إلى الحديث عن غفلة الناس وإعراضهم عن الآخرة وإقبالهم على الدنيا . كما يسير بنفس الأسلوب في كتابته من تكرار الاستفهام ؛الذي يستنكر من خلاله انشغال الناس باللهو عن الآخرة . فضلا عن أن الحديث الذي اختتم به هذه الخطبة ليس له علاقة مباشرة أو حتى واضحة مع مضمون الخطبة ؛ حيث استشهد بحديث رسول الله . صلي الله عليه وسلم الذي يقول فيه : " من ابتليَ فصبر ، وأُعطيَ فشكر ، وظُلم

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٢٧ ، ٢٨

فغفر، وظَلَمَ فاستغفر ، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون " [١] . فمما لاشك فيه أن تشعر بأن هذا الحديث الشريف ليس ذو صلة قاطعة بمضمون الخطبة اللهم إلا إذا حاولت تطويع المعاني بصورة غير مباشرة للدخول في جدل ليس له فائدة .

٢. الخطبة الثانية لجمادى الأولى

يقول الشرنوبي : " الحمد لله السميع البصير * الفاعل المختار الغني القدير * فلا أعوان له ولا أنصار اللطيف الخبير بحوادث الليل والنهار * لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين * أحمده وأشكره على نعم لا تحصيها الأقلام * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله القدوس السلام * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله سيد الرسل الكرام * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه واجعلنا يوم الفزع الأكبر من الآمنين (أما بعد فيا عباد الله) اقتربت الساعة وقرب التحول والمسير * وأزفت الآزفة وليس هنالك حميم ولا نصير * وكتبت الصحيفة فلا نسيان لكثير من الأعمال ولا يسير * وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين * ومع ذلك غرتكم الأماني فتركتم سبيل الهدى * وأعرضتم عن دار التهاني فوقعتم في شرك الردى * وتماديتم على التواني وظننتم أن تتركوا سدى * ونسيتم قول القهار وأملي لهم إن كيدي متين * كيف أنتم إذا قامت الخلائق من القبور حيارى * وعظمت الأهوال وترى الناس سكارى وما هم بسكارى * ولزمت الصحف أعناق الأنام ولم يجدوا لهم من دون الله أنصارا ..... " [٢]

بالرغم من اقتراب معاني هذه الخطبة من معاني بعض الخطب السابقة ، غير أنها تميزت بمحاولة الشرنوبي تقديم صورة حية لمشهدي البعث والحساب مما يؤثر في المتلقي ويدفعه للاستماع لأقوال الشرنوبي كما يتضح في قوله : " كيف أنتم إذا قامت الخلائق من القبور حيارى * وعظمت الأهوال وترى الناس سكارى وما هم بسكارى * ولزمت الصحف أعناق الأنام ولم يجدوا لهم من دون الله أنصارا ....." .

---

١ المرجع السابق صـ ٢٨

٢ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٢٨ ، ٢٩

كما تمكن الشرنوبي في هذه الخطبة من جعل استهلالها مقدمة وتهيئة للمضمون ؛ حيث يقول في الاستهلال بعد حمد الله والثناء عليه :" اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه واجعلنا يوم الفزع الأكبر من الآمنين " فنجده يتحدث عن الفزع الأكبر في الاستهلال ويقصد به يوم القيامة الذي جعله مضمونا لخطبته . وبالرغم من التوازن الذي حققه بين الاستهلال والمضمون فقد افتقده في ختام خطبته فلم يأت متوافقا مع المضمون ولا مع الاستهلال ؛ حيث ذكر حديث رسول الله . صلي الله عليه وسلم . : اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا، ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب " [١]. فالحديث الشريف يتضمن تعاليم عامة للإسلام وليس فيها ذكر أحداث يوم القيامة من هول الحساب وغيره .

أما فيما يتعلق بالسمات الفنية للخطبة ؛ فقد تضمنت مجموعة من السمات أهمها ما يأتي :

ـ السجع : كان السجع معياره الأول الذي ألزم نفسه به ، ولقد تكرر على مدار الخطبة برمتها ؛ فمن ذلك قوله : (الحمد لله السميع البصير * الفاعل المختار الغني القدير * فلا أعوان له ولا أنصار اللطيف الخبير بحوادث الليل والنهار * لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين) فنجد السجع في نهاية فواصل الجمل الثلاث الأولى بين المفردات (البصير . القدير . الخبير . النهار) كما ختم فقرته بآية من القرآن الكريم .

الطباق : تكرر الطباق في أكثر من موضع فمن ذلك قوله : (اللطيف الخبير بحوادث الليل والنهار) فالطباق بين مفردتي (الليل والنهار) وكذلك قوله : (و ما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين) فالطباق هنا وقع بين مفردتي (السماء والأرض) كما وقعت مقابلة بين (يحي ويميت) وذلك في قوله : (لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم) .ومما لا شك فيه أن مثل هذا الطباق يعكس الشرنوبي قدرة الخالق وإحاطته بكل شيء علما في كل مكان وفي كل توقيت .

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٢٩

ـ الاستعارة : وذلك في قوله : (فوقعتم في شرك الردى) حيث شبه الردي بإنسان يصنع شراكا للفريسة حذف الإنسان وأتي بشيء من لوازمه وهو (شرك) .

٣ ـ الخطبة الثالثة لجمادى الأولى

يقول الشرنوبي : " الحمد لله الذي جمل بجميل بره من اجتباه لعلي حضرته * وكمل بجليل فضله من اصطفاه لشريف خدمته * ووفق بسنى إرشاده من ارتضاه لدخول جنته * لا إله إلا هو لا يسأل عما يفعل وهم يسألون * أحمده وأشكره على مواهب الإنعام والإحسان * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله العظيم الديان * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله سيد ولد عدنان * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه كلما ذكرك الذاكرون (أما بعد فيا عباد الله) لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله * ولا تضلكم أعمالكم فتسلكوا سبيل العصاة والغواة * ولا يغرنكم شيطانكم فتكسلوا عن إقام الصلاة وإيتاء الزكاة * ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون * ولا كمن تغافل عن الصلاة فارتكب إثما كبيرا وسقط في يديه ولم يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا * وغضب الله عليه ولعنه وأعد له جهنم وساءت مصيرا * فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون * اولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ....." [١]

لم يأت الشرنوبي في استهلاله بإشارة واضحة أو تمهيد لمضمون الخطبة ؛ فكل الذي ذكره بعد حمد الله والصلاة على الرسول . صلى الله عليه وسلم ـ من قبيل الكلام العام الذي يصلح لأي غرض يأتي فيما بعد، أما مضمون الخطبة فيعد موضوعا جديدا ركز الشرنوبي فيه على أهمية الصلاة والتحذير من التفريط فيها وهنا يأتي بحديث شريف في خاتمة الخطبة يتفق والمضمون حيث يذكر الحديث الشريف : " أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا " [٢] . أما من

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٣٠ ، ٣١

٢ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٣٠

جهة السمات الفنية فقد تحققت فيها مجموعة من السمات الفنية أهمها :

. السجع : والذي إن غاب عن خطبة واحدة سقط العمل الفني لا لشيء سوى أن الشرنوبي قد سبق وعقد عليه منهجه في الكتابة فلا يجوز أن يخالف منهجه . ولقد تكرر السجع على ثلاث فواصل في أكثر من موضع ؛ كقوله : (أحمده وأشكره على مواهب الإنعام والإحسان * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله العظيم الديان * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله سيد ولد عدنان) فنجد السجع جاء بين المفردات (الإحسان . الديان . عدنان) .

. الجناس : وقع جناس في أكثر من موضع بالخطبة ؛ كقوله : (الحمد لله الذي جمل بجميل بره من اجتباه لعلي حضرته * وكمل بجليل فضله من اصطفاه لشريف خدمته) فهنا جناس ناقص بين مفردتي (بجميل . بجليل) .

ـ التكرار : قام التكرار هنا في الخطبة بوظيفتين الأولي بنائية والثانية جمالية ؛ أما الأولي فقد اعتمد النفي ليكون وسيلة يبني عليها كلامه ويزيد من المعاني التي يريدها وجمالية لما في التكرار من وظيفة موسيقية ، وقد اتضح ذلك في قوله : (لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله * ولا تضلكم أعمالكم فتسلكوا سبيل العصاة والغواة * ولا يغرنكم شيطانكم فتكسلوا عن إقام الصلاة وإيتاء الزكاة * ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون * ولا كمن تغافل عن الصلاة فارتكب إثما كبيرا) فتكرار النهي هنا في بداية الجمل كما بينا يحمل الدلالتين البنائية والجمالية ، فضلا عن خروج النهي عن المعني الرئيس للنهي إلى معنى آخر وهو النصح والإرشاد .

. الطباق : وقع الطباق في أكثر من موضع بالخطبة ؛ فمن ذلك الطباق بين (تبع . خالف) في قوله: " وتبع الشيطان وخالف الرحمن في الأوامر" [١]، وكذلك المقابلة في قوله " في الليل إذا تغشي والنهار إذا تجلي " [٢].

٤. الخطبة الرابعة لجمادى الأولى

يقول الشرنوبي من خطبته : " الحمد لله الكريم الحليم فلا يبخل ولا يعجل * الوارث القديم فلا آخر له ولا أول * الغافر الرحيم من تبتل إليه وعليه

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٣٠

٢ المرجع السابق صـ ٣٠

توكل * لا إله إلا هو تبارك الله رب العالمين * أحمده وأشكره على ما أسبغ من جلابيب النعم * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله مفيض الإحسان والكرم * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله سيد العرب والعجم * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه إلى يوم الدين (أما بعد فيا عباد الله) ما هذا التغافل والعصيان وما الله بغافل عما تعملون * وما هذا التعاظم والعدوان وسيقال ذوقوا ما كنتم تكسبون * وما هذا التخالف والخسران وقد قال الجبار في كتابه المكنون * إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين * كيف حالك أيها الظالم لنفسك إذا جمعت الخلائق في صعيد * واشتد غضب الجبار وقالت جهنم هل من مزيد * ودنت الشمس من رؤوس الأنام واستوت الأحرار والعبيد * وقال الديان كل نفس بما كسبت رهين إلا أصحاب اليمين * كيف حالك أيها المفرط في الطاعات إذا وقفت بين يدي الجبار * ونوقشت الحساب وذهبت بك ملائكة العذاب الى النار ....." [١] .

جاء الاستهلال في هذه الخطبة موجزا ، ولا يعطي أي تمهيد حول مضمون الخطبة؛ الذي يدور حول يوم الحساب ويؤول إليه الإنسان وفقا لعمله ، وهو موضوع سبق وتناوله قبل ذلك . غير أنه هذه المرة قد أجاد في خاتمة الخطبة اختيار حديث نبوي يتفق وموضوع خطبته ؛ حيث ذكر قوله . صلي الله عليه وسلم . : " تدنو الشمسُ يومَ القيامةِ من الخلقِ ، حتى تكونَ منهم كمقدارِ مَيلٍ ، فيكون الناسُ على قدرِ أعمالهم في العَرقِ ، فمنهم من يكونُ إلى كعبَيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتَيه ، ومنهم من يكون إلى حِقْوَيه ، ومنهم من يلجُمه العرقُ إلجامًا " [٢]. أما من الناحية الفنية فقد تحققت مجموعة من السمات الفنية أهمها :

ـ السجع : كما في قوله (كيف حالك أيها الظالم لنفسك إذا جمعت الخلائق في صعيد * واشتد غضب الجبار وقالت جهنم هل من مزيد * ودنت الشمس من رؤوس الأنام واستوت الأحرار والعبيد * وقال الديان كل نفس بما كسبت رهين إلا أصحاب اليمين) ؛ حيث وقع السجع في الجمل الثلاث

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٣١ : ٣٢

٢ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٣١

الأولى بين المفردات (صعيد . مزيد . العبيد) وفي الجملة الرابعة يأتي الشرنوبي بآية من القرآن الكريم .

ـ الطباق : تكرر الطباق في أكثر من موضع ؛ كقوله : (واستوت الأحرار والعبيد) وكذلك في قوله : (الوارث القديم فلا آخر له ولا أول) .

سادسا : خطب شهر جمادي الثانية :

الخطبة الأولى لجمادي الثانية

يقول الفقيه الشرنوبي : " الحمد لله الذي أحيا قلوب أحبابه بأسرار محبته * وحلى نفوس أوليائه بأنوار مودته وأولاهم بآلاء رحمته ووقاهم ولقاهم نظرة وسرورا * أحمده وأشكره هدى من أراد لأقوم طريق * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله مانح الهداية والتوفيق * وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله سيد أولى التصديق * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه واجعل لواءه علينا منشورا (أما بعد فيا عباد الله) هنيئا لقوم امتثلوا أوامر الله في السر والعلانية * واجتنبوا الفواحش ففازوا بجنة عالية قطوفها دانية * وبذلوا النفائس وقاموا على قدم السداد شكر النعمة الوافية * يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا * قاموا بشكر مولاهم على ما أولاهم وأخلاقهم القنوع * وشعارهم التضرع والتذلل ودثارهم الخضوع * وأفعالهم الركوع والسجود يطوون على الجوع الضلوع * ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا * قد شربوا من شراب المراقبة كؤوسا * وشاهدوا من أنوار المشاهدة شموسا * وبرزت لهم الدنيا بزينتها عروسا ....." [١].

في هذه الخطبة استطاع الفقيه الشرنوبي أن يحقق تناغما وتوافقا بين الاستهلال والمضمون والخاتمة ؛ ففي الاستهلال يتحدث عن ثواب أولياء الله بقوله : " وحلى نفوس أوليائه بأنوار مودته وأولاهم بآلاء رحمته ووقاهم ولقاهم نظرة وسرورا " ولا شك أن في هذه الجملة تمهيد للحديث عن الجنة وما ينتظر المؤمن في الجنة من خيرات أعدها الله . تعالى . لهم ، يقول الفقيه بعد التخلص من الاستهلال : (هنيئا لقوم امتثلوا أوامر الله في السر والعلانية * واجتنبوا الفواحش ففازوا بجنة عالية قطوفها دانية) فمضمون الخطبة يدور

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٣٣

حول الجنة ثم يختتم الفقيه خطبته بحديث رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ : "إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهلَ الجنَّةِ فيقولونَ : لبَّيْكَ ربَّنا وسعدَيْكَ والخيرُ في يدَيْكَ فيقولُ : هل رضِيتُم ؟ فيقولونَ : ما لنا لا نرضى وقد أعطَيْتَنا ما لَمْ تُعْطِ أحدًا مِن خَلْقِكَ فيقولُ : ألا أُعطيكم أفضَلَ مِن ذلكَ فيقولونَ : يا ربِّ وأيُّ شيءٍ أفضَلُ مِن ذلكَ ؟ فيقولُ : أُحِلُّ عليكم رِضواني فلا أسخَطُ بعدَه) وهكذا جاءت الخطبة متناسقة تماما بين الاستهلال والمضمون والختام . أما من جهة السمات الفنية فقد تحققت مجموعة من السمات أهمها :

ـ السجع : تحقق السجع في أكثر من موقع بالخطبة ؛ فمن ذلك قوله (هنيئا لقوم امتثلوا أوامر الله في السر والعلانية * واجتنبوا الفواحش ففازوا بجنة عالية قطوفها دانية * وبذلوا النفائس وقاموا على قدم السداد شكر النعمة الوافية * يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا) فالجمل الثلاث الأولي تضمن السجع في نهاية الفواصل على النحو الآتي (العلانية دانية . الوافية .) ثم جاء في الجملة الرابعة بآية من القرآن الكريم .

. الاستعارة : تحققت الاستعارة بالخطبة في أكثر من موضع ؛ فمن ذلك قوله : (ودثارهم الخضوع) حيث شبه الخضوع بإنسان يتدثر (يرتدي لباسا) وحذف الإنسان وأتي بشيء من لوازمه وهو قوله (دثارهم) وفيها كناية عن شمول الخضوع لكل الجسد . ومن الاستعارة أيضا قوله : (قد شربوا من شراب المراقبة كؤوسا) حيث شبه مراقبة الله . تعالى . بشيء يشرب وحذف هذا الشيء وأتي بشيء من لوازمه وهو قوله (شربوا) . وهي تتضمن معنى أن مراقبة الله . تعالى . عندهم أمر متفطر في النفوس .

. الطباق : تمثل الطباق أيضا في قوله : (هنيئا لقوم امتثلوا أوامر الله في السر والعلانية) فالطباق هنا بين مفردتي (السر والعلانية) . وتفيد تعميم طرق امتثال أوامر الله . تعالى . في كل الأحوال .

٢. الخطبة الثانية لجمادي الثاني :

يقول الفقيه الشرنوبي : " الحمد لله الذي تفرد في ربوبيته أزلا وأبدا * وتقدس في سرمديته فلم يزل فردا صمدا * وتنزه بعظمته فما اتخذ صاحبة ولا ولدا * لا إله إلا هو تعالى الله عما يشركون * أحمده وأشكره هدى من أراد وله السبيل يسر * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله الباقي فلا يزول ولا يتغير

* وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله سيد من أنذر وبشر * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه كلما ذكرك الذاكرون (أما بعد فيا عباد الله) ما هذا التقاعد وزرع الأعمار قد دنى للحصاد * وما هذا التباعد ومدد الأيام قد أذن بالنفاذ * وما هذا التكاسل عن إعداد الزاد ليوم المعاد * وما هذا التغافل وما الله بغافل عما تعملون * ليت شعري أين الحسرات على فوات أمس * أين العبرات على مقاساة ظلمة الرمس * أين الاستعداد ليوم تدنو فيه من الرؤوس الشمس * يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون * فيا من مشيبه أتى وولى منه الشباب * متى تصالح مولاك متى تقف بالباب * أما اعتبرت بالراحلين من الأحباب والأتراب * أما سمعت وما الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وللدّار الآخرة خير للذين يتقون * كيف حالك إذا بلغت الروح الحلقوم والحناجر * وقطعت الحسرات علائق الأكباد والضمائر ....." [١] .

اتسمت هذه الخطبة دون سائر الخطب الماضية بجمال فني منقطع النظير ؛ فيها من الجمل القصيرة المتتابعة . ومن الكلمات البسيطة المعبرة ، بل ومن سيطرة بعض الحروف المؤدية للمعنى المقصود ؛ انظر إلى قوله : (ليت شعري أين الحسرات على فوات أمس * أين العبرات على مقاساة ظلمة الرمس * أين الاستعداد ليوم تدنو فيه من الرؤوس الشمس) وانظر إلى تكرار حرف السين وما يتضمنه من أسى في المفردات (الحسرات . أمس . مقاساة . الاستعداد . الرؤوس . الشمس) . ومما لا شك فيه أن هذا التكرار "إلحاح على جهة مهمة في العبارة، يُعْنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها، وهذا الذي نلمسه كامنًا في غالب التكرار الذي يخطر على البال، فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيّمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر، ويحلل نفسية كاتبه".[٢]ألا يسعى الفقيه إلي غرس هذا القلق والاضطراب في تلك النفوس المطمئنة الراكنة إلى الدنيا دونما أي تفكير في الآخرة . إن تكرار حرف السين هنا مناسب تماما لوصف السكوت والكسل والتراخي في نفوس الناس ؛ ولذلك

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٣٥

٢ نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر. منشورات مكتبة النهضة، ط٣، ١٩٦٧م.صـ ٢٤٢

تجد معظم الكلمات التي تضمنتها الخطبة تدور حول هذا المعنى (التغافل . التكاسل . التقاعد . الحسرات . مقاساة) والحقيقة أن هذه الخطبة تمثل تطورا ملحوظا في إبداع الفقيه الشرنوبي الأدبي .

كما نلحظ تكرار الاستفهام في قوله : (ما هذا التقاعد وزرع الأعمار قد دنى للحصاد * وما هذا التباعد ومدد الأيام قد أذن بالنفاذ * وما هذا التكاسل عن إعداد الزاد ليوم المعاد * وما هذا التغافل وما الله بغافل عما تعملون) ، ومما لا شك فيه أن تكرار هذا الاستفهام الذي يفيد الاستنكار يعكس مدي حرقة الفقيه مما يشاهده من تكاسل الناس على الطاعات وقد قرب الأجل للجميع .

٣. الخطبة الثالثة لجمادي الثاني :

يقول الفقيه الشرنوبي : " الحمد لله القديم الإحسان * الكريم المنان * الحليم الحنان * لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين * أحمده وأشكره على جميع نعمائه * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله معز أوليائه * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله صفوة أصفيائه * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين (أما بعد فيا عباد الله) ما هذا التغافل وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور * وما هذا التكاسل ولا استغناء عن الزاد ليوم النشور * وما هذا التقاعد عن المقاعد والقصور عن القصور * وما هذا التباعد عن تذكر المواعظ والذكرى تنفع المؤمنين * فترصدوا للموت فلكل طالع أفول * وتزودوا قبل الفوت فلكل غائب قفول * وتجردوا عن أسباب المقت فكل امرئ عما جنت يداه مسؤول * وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين * فيا سعادة من تركوا الدنيا الشاغلة عن الله سدى * وتمسكوا من التقوى بزمام الرضوان والهدى * وتخلصوا من شرك الخذلان والعصيان والردى * أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين * ويا مسرة من أقبل بهمته على أوامر مولاه * وقرع باب رحمته فتولاه ووالاه * وامتنع بكليته عن اتباع شيطانه وهواه ....."[١]

في هذه الخطبة لا يكتفي الفقيه الشرنوبي بتكرار مضمون بعض

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب ، مرجع سابق صـ ٣٦

الخطب السابقة فحسب ؛ بل يزيد ليكرر بعض الألفاظ ؛ أما مضمون الخطبة فيدور حول التغافل عن الآخرة والانشغال بالدنيا وهذا مضمون تردد كثيرا في خطب الشرنوبي ولا سيما الخطبة السابقة ، أما على صعيد الألفاظ نجده يكرر نفس الألفاظ (التغافل . التكاسل . التقاعد . التباعد) إنها نفس الألفاظ المستخدمة في الخطبة السابقة (الثانية لجمادي الثاني) . ولا يكتفي بتكرار المضمون والألفاظ فقط بل يتجاوز المدي ليكرر نفس أداة الاستفهام في الخطبة السابقة ؛ يقول الفقيه في هذه الخطبة : (ما هذا التغافل وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور * وما هذا التكاسل ولا استغناء عن الزاد ليوم النشور * وما هذا التقاعد عن المقاعد والقصور عن القصور * وما هذا التباعد عن تذكر المواعظ والذكرى تنفع المؤمنين) ، ويقول في الخطبة السابقة (ما هذا التقاعد وزرع الأعمار قد دنى للحصاد * وما هذا التباعد ومدد الأيام قد أذن بالنفاذ * وما هذا التكاسل عن إعداد الزاد ليوم المعاد * وما هذا التغافل وما الله بغافل عما تعملون) . ومما لاشك فيه أن تكرار المضمون . في هذه الخطبة . مع تكرار الألفاظ والأسلوب يعكس فقرا أدبيا عند الشرنوبي؛ فالشرنوبي لم يضف مضمونا جديدا ولا معنى مبتكرا ولا حتى تميز في هذه الخطبة بأسلوب جديد عن سابقتها .

٤. الخطبة الرابعة لجمادي الثاني

يقول الفقيه الشرنوبي : " الحمد لله الولي الحميد * الغني المجيد * المحصي المبدئ المعيد * لا إله إلا هو له الحكم وإليه ترجعون * أحمده وأشكره على نعمه السنية * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله ذو المواهب البهية * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله صفوة البرية * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه إلى يوم يبعثون (أما بعد فيا عباد الله) عجبا لمن درى تلون الليل والنهار كيف يغتر بدهره * ولمن رأى بطن الثرى محل الاستقرار كيف يمرح على ظهره * ولمن سرى وشاهد الذين خلوا من قبل كيف لا يتزود لقبره * ويقدم ما ينفعه من الحسنات يوم لا ينفع مال ولا بنون * فالحازم العاقل من قدم الزاد ليوم المعاد * والجاهل الغافل من اتبع الشيطان ونسي يوم التناد * والعالم العامل من استرضى المنان وسلك سبيل الرشاد * من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون * ذلك يوم مجموع له

الناس وذلك يوم مشهود * ذلك يوم لا تنفع فيه الأنصار ولا تدفع الجنود * ذلك يوم تشخص فيه الأبصار وتنطق الأعضاء والجلود * يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون....."[١]

بالرغم من أن مضمون الخطبة مكررا فقد استخدم الشرنوبي أسلوبا جديدا وألفاظا مغايرة لما سبق ويعد هذا من أشكال التجويد الفنى الذي يتحدث فيه المؤلف عن مضمون واحد بأسلوب مختلف وألفاظ جديدة . والاستهلال وإن كان لا يمهد للمضمون ، غير أنه يستم بقصر الجمل وتتابعها في يسر ؛ كقوله : (الحمد لله الولي الحميد * الغني المجيد * المحصي المبدئ المعيد * لا إله إلا هو له الحكم وإليه ترجعون) .

أما أسلوبه في عرض الفكرة فقد تغير ؛ فبعد أن كان دائما ما يبدأ الجملة بالاستفهام جعل الاستفهام في نهاية الجملة ؛ كقوله : (عجبا لمن درى تلون الليل والنهار كيف يغتر بدهره * ولمن رأى بطن الثرى محل الاستقرار كيف يمرح على ظهره * ولمن سرى وشاهد الذين خلوا من قبل كيف لا يتزود لقبره) . فنجد أن الشرنوبي يبدأ جملته بجملة فعلية (أتعجب) ثم يختتمها بجملة استفهامية ؛ وهذا التحول من الجملة الفعلية للجملة الاستفهامية ميزة فنية جديدة تضاف للشرنوبي ولا سيما أن هذا التحول جاء سلسا طبيعيا دون تكلف .

وفضلا عن السجع الذي اتسم به الشرنوبي في هذه الخطبة ؛ كقوله : (الحمد لله الولي الحميد * الغني المجيد * المحصي المبدئ المعيد) والذي وقع في نهاية فواصل الجمل بين المفردات (الحميد . المجيد . المعيد) فقد وقع جناس أيضا في هذه الخطبة بين المفردات (درى . سرى). كما وقع طباق في قوله : (عجبا لمن درى تلون الليل والنهار كيف يغتر بدهره) بين مفردتي : (الليل والنهار) . كما وقعت مقابلة في قوله : (والجاهل الغافل من اتبع الشيطان ونسي يوم التناد * والعالم العامل من استرضى المنان وسلك سبيل الرشاد) فالمقابلة وقت بين (الجاهل الغافل . العالم العامل) .وهكذا اتسمت هذه الخطبة بمجموعة من السمات الفنية وبأسلوب مميز يختلف عن

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٣٧

الخطب السابقة .

سابعا: خطب شهر رجب :

١. الخطبة الأولى لرجب المفرد

يقول الفقيه الشرنوبي " الحمد لله الذي وعد من أطاعه بدار السلام * وقبل من عصاه إذا تاب عن ارتكاب الآثام * واستجاب لمن دعاه وقد توكل عليه في إنجاز المرام * لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون * أحمده وأشكره على ما أولى من النعم الوافرة * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله ذو المواهب الباهرة * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله ذو المناقب الفاخرة * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه عدد ما كان وما يكون (أما بعد فيا عباد الله) اغتنموا أرباح الطاعات فأيام المواسم معدودة * وانتهزوا فرصة الأوقات فساعات الإسعاد محدودة * وجدوا في طلب الخيرات فمناهل الرضوان مورودة * وقوموا على قدم السداد واتقوا الله الذي إليه تحشرون * فهذا شهر رجب المعظم في الجاهلية والإسلام * الأصم لعدم سماع قعقعة السلاح فيه بسالف الأيام * الأصب لكثرة انصباب الرحمات فيه من الملك العلام * فبادروا بصالح الأعمال وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون * فيا سعادة أُولى الطاعات الذين اجتباهم مولاهم لدار السلام وأولاهم حلاوة الأنس ووالاهم بمواهب الإكرام ....." [١].

بالرغم من أن المعاني التي جاءت في الاستهلال من قبيل المعاني العامة ؛ فهي تتصل بمضمون الخطبة الذي يدور حول شهر رجب وقيمته في الجاهلية والإسلام ،وما أولاه الله . تعالى . لشهر رجب من رحمات ، لذا لا غرابة أن يبدأ الشرنوبي خطبته بهذا الاستهلال الذي يتضمن قبول الله . تعالى . الدعاء الخالص والتوبة الصادقة وهي معني تتوافق ضرورة استغلال شهر رجب في هذا الدعاء والإسراع بالتوبة فيه .كما اختتم الشرنوبي خطبته بحديث رسول الله . صلي الله عليه وسلم " رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي "[٢]،وبهذا يحقق الشرنوبي التكامل في استهلال الخطبة

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٣٨،٣٩

٢ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٣٩

ومضمونها وخاتمتها .

أما من جهة السمات الفنية فقد جاءت الخطبة على النهج المعهود من التزام الشرنوبي بالسجع الذي يكون في ثلاث فواصل ومن ذلك قوله (فهذا شهر رجب المعظم في الجاهلية والإسلام * الأصم لعدم سماع قعقعة السلاح فيه بسالف الأيام * الأصب لكثرة انصباب الرحمات فيه من الملك العلام) فنجد السجع قد تحقق بين المفردات (الإسلام . الأيام . العلام) .

كما أكثر الشرنوبي من استخدام فعل الأمر الذي خرج عن غرضه الرئيس لتحقيق غرض آخر وهو النصح والإرشاد فمن ذلك قوله : (اغتنموا أرباح الطاعات فأيام المواسم معدودة * وانتهزوا فرصة الأوقات فساعات الإسعاد محدودة * وجدوا في طلب الخيرات فمناهل الرضوان موروده * وقوموا على قدم السداد واتقوا الله الذي إليه تحشرون) فنجد صيغة الأمر تتكرر في مطلع كل جملة (اغتنموا . وانتهزوا . وجدوا . وقوموا . واتقوا) . ومما لاشك فيه أن هذه الأفعال هي من باب الحث على فعل الشيء بغرض النصح والإرشاد.

كما نجد الجناس بين المفردات (معدودة . محدودة . موروده) ، كما نجد الاستعارة في قوله : (لكثرة انصباب الرحمات) حيث شبه الرحمات بشيء مادي . كالمطر . يصب وحذف هذا الشيء المادي وأتى بشيء من لوازمه وهو الصب .

٢. الخطبة الثانية لرجب

يقول الفقيه الشرنوبي " الحمد لله الذي وفق من عباده من اصطفاه لخدمته * وأرشد بأفضاله من ارتضاه لعلي حضرته * وأكرم بإحسانه من اجتباه لنعيم جنته * هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين * أحمده وأشكره على ما أولى من مواهب الإحسان * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله عظيم الامتنان * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله خلاصة معد وعدنان * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين (أما بعد فيا عباد الله) أفرطتم في الأوزار وفرطتم في الطاعات * وتكاثرتم في الأموال وأكثرتم من الشهوات * وأسرفتم في العصيان وأشرفتم على الهلكات * وسعيتم في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين * فما هذا التقاعد عن إعداد الزاد ليوم المآب * وما هذا التباعد عن المتاب قبل يوم الحساب * وما هذا التغافل

عن الحسنات والله عنده حسن الثواب * وما هذا التكاسل عن الطاعات والله ولي المتقين * وها أنتم في شهر الله المحرم رجب الأصب * الذي فيه غيوث الإحسان من سحب الرضوان تصب * فطوبى لمن شمر فيه عن ساعد الجد ولخدمة مولاه انتصب * وويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين ....."[١].

في هذه الخطبة لم يأت الفقيه الشرنوبي بجديد ؛ فمضمون الاستهلال مضمون عام يصلح لأي غرض وغير مرتبط بمضمون الخطبة ، أما مضمون الخطبة فالمعاني مكررة بل الألفاظ نفسها تم استخدامها من قبل في بعض خطبه ؛ فقوله (فما هذا التقاعد عن إعداد الزاد ليوم المآب * وما هذا التباعد عن المتاب قبل يوم الحساب * وما هذا التغافل عن الحسنات والله عنده حسن الثواب * وما هذا التكاسل عن الطاعات والله ولي المتقين) ، موجود سابقا في الخطبة الثانية لجمادي الثاني حيث يقول فيها : (ما هذا التقاعد وزرع الأعمار قد دنى للحصاد * وما هذا التباعد ومدد الأيام قد أذن بالنفاذ * وما هذا التكاسل عن إعداد الزاد ليوم المعاد)، وموجود في الخطبة الثالثة من جمادي الثاني ؛ حيث يقول : (ما هذا التغافل وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور * وما هذا التكاسل ولا استغناء عن الزاد ليوم النشور * وما هذا التقاعد عن المقاعد والقصور عن القصور * وما هذا التباعد عن تذكر المواعظ والذكرى تنفع المؤمنين). ومما لا شك فيه أن تكرار المعاني بألفاظها بأسلوبها يضفي سمة الضعف على أسلوب الشرنوبي ويجعل من ذلك التكرار موضع نقد .

٣. الخطبة الثالثة لرجب

يقول الفقيه الشرنوبي " الحمد لله العلي الوهاب * الغني التواب * غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب * ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون * أحمده وأشكره على جميع نعمائه * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله المتفرد بكبريائه * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله سيد أصفيائه * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه كلما ذكرك الذاكرون (أما بعد فيا عباد الله) إلى متى الركون إلى الدار البوار وقد شدت نجائب المسير * وحتام

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٤٠

العدول عن دار القرار وإلى الله المصير * وعلام الغرور بزخارف هذه الدار وعمر الدنيا قصير *وإلام السرور بجمع الأموال وسيقال فذوقوا ما كنتم تكنزون *أغركم الإمهال فتركتم إعداد الزاد لليوم الآخر * أم ذهبت بكم الآمال فذهلتم عن الأهوال يوم تبلى السرائر * أم ألهاكم التكاثر بالأموال حتى زرتم المقابر * كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون * أين أنتم من الذين كذبوا فآتاهم العذاب من حيث لا يشعرون * فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون * ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون ....." [١].

مما لا شك فيه أن استهلال هذه الخطبة يمكن أن نسميه التمهيد المعاكس لمضمون الخطبة؛ فإذا كان مضمون الخطبة يدور حول ركون الناس إلى الدنيا والتلذذ بجمع الأموال فقد جاء الاستهلال معبرا عن عذاب الله وعقابه وبالتالي فالاستهلال كان بمثابة صرخة توقظ الناس من ركونهم إلى الدنيا وتوقظهم من الغفلة التي سيتحدث عنها الفقيه في مضمون الخطبة . ولقد جاءت الخاتمة موافقة تماما لمضموني الاستهلال والخطبة حيث ذكر حديث رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ : " والله ما الفقر أخشي عليكم ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوا وتهلككم كما أهلكتهم " [٢].

أما على صعيد السمات الفنية فقد تحققت في الخطبة مجموعة من السمات الفنية أهمها :

ـ السجع : الذي طالما أبدع فيه كقوله : (إلى متى الركون إلى الدار البوار وقد شدت نجائب المسير * وحتام العدول عن دار القرار وإلى الله المصير * وعلام الغرور بزخارف هذه الدار وعمر الدنيا قصير) ففي هذه الفقرة نجد سجعا في نهاية الفواصل وسجعا آخر في ثنايا الجمل عل النحو التالي :

ـ إلى متى الركون إلى الدار البوار وقد شدت نجائب المسير

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٤١ ، ٤٢

٢ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٤٢

. وحتام العدول عن دار القرار وإلى الله المصير *

. وعلام الغرور بزخارف هذه الدار وعمر الدنيا قصير

فنجد السجع في نهاية الفواصل بين المفردات (المسير . المصير . قصير) كما نجد سجعا موازيا لهذا السجع في داخل الجمل وليس في نهاية الفواصل كما بين المفردات (البوار . القرار . الدار) .

ـ الجناس : وقع جناس في أكثر من موضع بالخطبة ؛ كما في قوله (إلى متى الركون إلى الدار البوار وقد شدت نجائب المسير * وحتام العدول عن دار القرار وإلى الله المصير) حيث وقع جناس بين لفظتي (المسير والمصير) .

٤. الخطبة الرابعة وهي خطبة الإسراء

يقول الفقيه الشرنوبي : " الحمد لله الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى * وأراه من آياته الكبرى واخترق له السبع الطباق وحجبا لا تستقصى * وقربه إليه فكان قاب قوسين أو أدنى وأسبغ عليه نعما لا تحصى * ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم * أحمده وأشكره على ما أظهر من المعجزات البهية لسيد أنبيائه * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله معز أوليائه * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله صفوة أصفيائه * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وامنحنا النظر إلى وجهك الكريم (أما بعد فيا عباد الله) قد أسبغ المنان جلابيب الإحسان على الحبيب المختار * وخصه بالإسراء والمعراج وأطلعه على عظيم الأسرار * واصطفاه على جميع الأنام وألبسه حلل الأنوار * وناداه فأدناه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم * فسبحان من اجتباه وأرسل جبريل وميكائيل لجنابه بالبراق * فأيقظه من بيته أوحجر إسماعيل وقد طاب وقته وراق * وغسل قلبه بماء زمزم ليحوز في مضمار الفخار قصب السباق * وملأه حكمة وإيمانا ليكون سيد من أتى الله بقلب سليم ....."[١]

لقد كان الاستهلال في هذه الخطبة تمهيدا مباشرا للموضوع فقد تضمن الإشارة لحادثتي الإسراء والمعراج وهما يمثلان مضمون الخطبة كما اختتمها

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٤٣ ، ٤٤

الشرنوبي بحديث الرسول . صلي الله عليه وسلم . : " رأيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال يا محمد أقرئ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وغراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله " [١]. وهذه الخاتمة أيضا تتفق ومضمون الخطبة وكذلك مع الاستهلال ؛ هذا من جهة البناء الفني أما من جهة السمات الفنية فقد تحققت مجموعة منها أهمها ما يأتي :

ـ السجع : واظب الشرنوبي على السجع ولم يخرج عن إطاره المرسوم في منهجه وتكرر على طول الخطبة ؛ فمن ذلك قوله :

(فسبحان من اجتباه وأرسل جبريل وميكائيل لجنابه بالبراق * فأيقظه من بيته أوحجر اسماعيل وقد طاب وقته وراق * وغسل قلبه بماء زمزم ليحوز في مضمار الفخار قصب السباق) والحقيقة أن فواصل الجمل جاءت على حرف (القاف) وهو حرف من الحروف التي يصعب بناء السجع عليها ولكن يحسب للشرنوبي أنه أقام السجع على هذا الحرف .

. الجناس : وقع الجناس في أكثر من موضع ؛ فمن ذلك الجناس بين لفظتي (الأسرار . الأنوار) وذلك في قوله : (وخصه بالإسراء والمعراج وأطلعه على عظيم الأسرار * واصطفاه على جميع الأنام وألبسه حلل الأنوار) ، كما وقع جناس بين المفردات (أنبيائه . أوليائه . أصفيائه) وذلك في قوله : (أحمده وأشكره على ما أظهر من المعجزات البهية لسيد أنبيائه * وأستغفره وأشهد ان لا إله إلا الله معز أوليائه * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله صفوة أصفيائه) .

الاستعارة : وقعت الاستعارة بالخطبة في أكثر من موضع ؛ فمن ذلك الاستعارة في قوله :

قد أسبغ المنان جلابيب الإحسان على الحبيب المختار

حيث شبه الإحسان بإنسان وحذف الإنسان وأتي بشيء من لوازمه وهو الجلابيب وهو يقصد شمول إحسانه . تعالى . جميع الإنسان .

---

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٤٤

وكذلك الاستعارة في قوله :

وألبسه حلل الأنوار

حيث شبه الشرنوبي هنا الأنوار بشيء مادي يلبس وحذف هذا الشيء المادي وأتي بشيء من لوازمه وهو مفردة (حلل) .

ثامنا: خطب شهر شعبان [١]:-

١. الخطبة الأولى لشعبان :

يقول الفقيه الشرنوبي : "الحمد لله الذي وفق من هداه للتخلص من أوحال أحواله * وجَّل من اجتباه بالسَّداد في أقواله وأفعاله * وأرشد من ارتضاه فقام بطاعته وشكر أفضاله * هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين * أحمده وأشكره على ما أولى من جميل الإنعام * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله القدوس السلام * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله صفوة الأنام * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه إلى يوم الدين (أما بعد فيا عباد الله) كم مرت عليكم أوقات الإحسان فسوفتم بالتوبة والسداد * وانقضت لديكم ساعات الإسعاد وأنتم ذاهلون عن الزاد ليوم المعاد * وتواردت عليكم أنات الرضوان فما سلكتم سبيل الرشاد * ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله غني عن العالمين * فاتقوا الله وتداركوا ما فات فهذا شهر شعبان المعظم * الذي انشق فيه القمر معجزة للحبيب الأعظم * فيا سعادة من سارع فيه إلى الطاعات ولمحاسن الخيرات قدم * وتباعد عن السيئات وخاف يوما فيه كل امرئ بما كسب رهين * ويا مسرة من قرع بتوبته باب رحمة مولاه * وتوسل إليه بسيد أحباب حضرته فتولاه وولاه ...."

الخطبة الثانية لشعبان

يقول الفقيه الشرنوبي : " الحمد لله الذي كمل من أناب إليه بعظيم إقباله * وجمل من تقرب لديه بعميم نواله * وكرم من اعتمد عليه بجزيل أفضاله * لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون * أحمده وأشكره قرب من أحب لحضرة قدسه العلية * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله ذو المواهب البهية * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله سيد البرية * اللهم

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٤٦ : ٥٣

صل وسلم على سيدنا محمد وإلا وصحبه كلما ذكرك الذاكرون (أما بعد فيا عباد الله) من تعرض لنفحات المنان في أوقات الإحسان حفته العناية * ومن توسل إلى الرحمن في أنات الرضوان حسنت له النهاية * ومن تقرب إلى الغفار في ساعات الأسحار غفرت له الغواية * فقوموا على قدم السداد وادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون * وها أنتم في شهر شعبان الذي يضاعف فيه الرضوان من الله علا وجل * فقرعوا باب الرجاء بأنامل الالتجاء وكونوا من الأوزار على وجل * وقدموا صالح الأعمال مع الإخلاص تنالوا الثواب الجزيل الأجل ...."

٣. الخطبة الثالثة لشعبان

يقول الفقيه الشرنوبي : " الحمد لله الذي شرف شهر شعبان المعظم * وجمله بالانتساب إلى جناب الحبيب الأعظم * وشق له القمر فيه وعليه أنعم وتكرم * لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم * أحمده وأشكره على نعمة الإيمان والإسلام * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله عظيم التفضل والإنعام * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله خاتم الرسل الكرام * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وعاملنا بفضلك العميم (أما بعد فيا عباد الله) اقتربت الساعة وانشق القمر * ولقد جاءكم من الأنباء ما فيه مزدجر * فحتام التراسل في الشهوات وما أمر الساعة إلا كلمح البصر * وعلام التستر بالخلوات والله بما تعملون عليم * ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون * وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون * هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون * يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم * فاتقوا الله وبادروا بالمتاب من الذنوب والأوزار * وتذكروا العرض يوم الحساب بين يدي العزيز الجبار ....."

٤. الخطبة الرابعة لشعبان

يقول الفقيه الشرنوبي : " الحمد لله الذي أكرم من أطاعه بكرامة رضوانه وآنسه * ووعد من اتقاه بنيل سروره عند حلول رمسه * وكفر أوزاره واجتباه لحضرة أفضاله وقدسه * فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون * أحمده وأشكره أجزل الخير بأفضاله لمن أراده * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تنال بها الحسنى وزيادة . وأشهد أن سيدنا

محمدا رسول الله سيد الراقين في درج السعادة * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه إلى يوم يبعثون (أما بعد فيا عباد الله) قد انقضى شعبان مورد البر والإحسان وقد سوفتم بالطاعة *ومضى موسم الربح والغفران وما سلكتم غير سبيل الإضاعة * وفرطتم في اقتناص شوارد الحسنات مع توفر شروط الاستطاعة * وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون * فإلى متى التفريط في الطاعات والركون الى الآمال * وحتام الإفراط في السيئات والسرور بجمع الأموال * وعلامة الانهماك في الشهوات والذهول عن المال * وإلى ما التستر بالخلوات والله يعلم ما تصنعون * فاتقوا الله وتداركوا ما فات بالعمل في الأيام الباقية * وبادروا بالتوبة لتكون لكم من العذاب واقية ....."

. الدراسة الفنية لخطب شهر شعبان :

آثرت تجميع خطب هذا الشهر وعرض أجزاء من خطب شهر شعبان الأربعة التي كتبها الفقيه الشرنوبي ، ثم أتناولها بالدراسة جملة مرة واحدة بخلاف منهجي السابق من عرض كل خطبة على حدة ؛ ولعل هذا الدافع كان سببه الرئيس الفقيه نفسه ؛ الذي دفعني لتغيير منهجي في العرض والدراسة والتحليل ؛ وذلك أن خطب هذا الشهر جميعا تسير في فلك واحد ، وتدور حول مضمون واحد، وتسلك أسلوبا يكاد يكون موحدا على النحو الآتي:

. **المضمون** : فمن جهة المضمون يدور استهلال كل خطبة ومضمونها وخاتمتها حول شهر شعبان وفضائل الله . تعالى . التي يهبها لمن يشاء في هذا الشهر وضرورة السعي للتوبة قبل انقضاء هذه الأيام المباركة وعدم الركون إلى الدنيا .

. **السمات الفنية** : تعددت السمات الفنية في هذه الخطب على النحو الآتي :

. **السجع** : احتل السجع المرتبة الأولي من بين جميع السمات الفنية وقد أثبت الشرنوبي فيه ذاته وحقق فيه درجة عالية من النضج والكمال حتي ذكرنا بقدماء الكتاب المشهورين ، وقد ورد السجع في هذه الخطب في أكثر من موضع ؛ فمن ذلك قوله في الخطبة الثانية لشعبان : (من تعرض لنفحات المنان في أوقات الإحسان حفته العناية * ومن توسل إلى الرحمن في أنات الرضوان حسنت له النهاية * ومن تقرب إلى الغفار في ساعات الأسحار

غفرت لـه الغوايـة) ؛ فنجـد السـجع قـد وقـع فـي نهايـة فواصـل الجمـل بـين المفردات (العناية . النهاية . الغواية) .

الجناس : كما وقع جناس في أكثر من موضع ؛ كقوله : (وها أنتم في شـهر شـعبان الـذي يضـاعف فيـه الرضـوان مـن الله عـلا وجـل * فقرعوا بـاب الرجـاء بأنامـل الالتجـاء وكونـوا مـن الأوزار علـى وجـل) فنجـد الجنـاس بـين مفردتي (وجلَّ . وجل)

. التقديم والتأخير : هو من أبواب البلاغة ويحقق قيمة موسيقية فضلا عن قيمته في تأكيد المعني المطلوب ، وقد وقع في أكثر من موضع بالخطب ؛ فمن ذلك قوله في الخطبة الأولي لشهر شعبان : (فيا سعادة من سارع فيه إلى الطاعات ولمحاسن الخيرات قدم) فنجده قدم الجار والمجرور (لمحاسن الخيرات) على الفعل (قدم) .

الاستعارة : جاءت الاستعارة في أكثر من موضع بخطب شهر شعبان ؛ فمن ذلك قوله (اقتناص شوارد الحسنات) حيث شبه الحسنات بالغزالة الشاردة وحذف الغزالة وأتى بشيء من لوازمها وهو الاقتناص .

تاسعا : خطب شهر رمضان :

١. الخطبة الأولى لرمضان

يقول الفقيه الشرنوبي : " الحمد لله الذي وفق لعبادته من ارتضاه من عباده * وفتح باب محبته لمن اصطفاه لحظيرة قدسه ووداده *ومنح بكرامته من اجتباه ففاز بقربه وإسعاده * ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير * أحمده وأشكره على نعمه السابقة * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله ذو الحكمة البالغة * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله ذو الحجة الدامغة * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه ونجنا من أهوال السعير(أما بعد فيا عباد الله) قد نزل بكم شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان * فشمروا عن ساعد الجد وقدموا فيه من الخيرات الحسان * وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير * هذا شهر الرضوان والإقبال من السيد المالك * هذا شهر الغفران ومن يحرم الغفران فيه فهو هالك * هذا شهر الإحسان فهنيئا لمن سلك بالطاعات أقوم المسالك * والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير * هذا شهر التوبة

ورجوع العبد الآبق إلى مولاه الكريم * هذا شهر الصدقة والصلة وتلاوة القرآن العظيم * هذا شهر الفتح والمنح والربح الجليل الجسيم * هذا شهر تجلى الرحمن بجلائل الإحسان إن ذلك على الله يسير ..."

٢ـالخطبة الثانية لرمضان

يقول الفقيه الشرنوبي : " الحمد لله الذي أفاض مواهب الإحسان على المقربين من عباده * وأماط حجب الإبعاد عن العباد فسلكوا سبيل رشاده * وأحيا قلوبهم بإماتة النفوس عن الشهوات فشربوا رحيق وداده * هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون * أحمده وأشكره على ما أسبغ من جلابيب النعم * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله مفيد الإحسان والكرم * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله سيد العرب والعجم * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه عدد ما كان وما يكون (أما بعد فيا عباد الله) إن المتقين في مقام أمين * في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين * آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين * كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون * وقد أتحفكم مولاكم بمواسم الربح فسوفتم في التجارة * وأراكم معالم النجح فأدبرتم وبادرتم للخسارة * وأوردكم موارد الفتح فأبيتم ووردتم نارا * وقودها الناس والحجارة * ونسيتم ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلهم الأمل فسوف يعلمون ...."

٣. الخطبة الثالثة لرمضان بقى لليلة القدر خطبة وإلا فقدم ما بعدها

يقول الفقيه الشرنوبي : " الحمد لله الذي أنشأنا من العدم إلى الوجود * وأتحفنا بما يعجز عن حصره كل موجود * وأفاض علينا بأفضاله مواهب الكرم والجود * وأخرجنا من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما * أحمده وأشكره على نعم لا تحصر * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله العلي الأكبر * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله سيد من أنذر وبشر * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه تسليما (أما بعد فيا عباد الله) قد انتصف موسم البركات وأنتم عن الخيرات قعود * وتشطر شهر الطيبات وأنتم عن الطاعات رقود * فليت شعري أين من شمر للحسنات وخشى النار ذات الوقود * يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسأل حميم حميما * أين من لبس درع العبادة وقرع باب التفضل والإحسان * أين من نزع وساوس المردة

وطرح تسويل الشيطان * أين من رد دسائس النفس الأمارة وقام في مرضات المنان * وتدبر وما تفعل من خير فإن الله كان به عليما * فهنيئا لقوم قاموا بأوامر الرحمن فجازاهم بالأفضال * وصانوا النفوس عن الشهوات فكافأهم بالإقبال ....."

٤. الخطبة الرابعة لرمضان

يقول الفقيه الشرنوبي : " الحمد لله الذي كمل العشر الأواخر بليله القدر البهية * وجمل السرائر لمن حفته الرعاية بالمواهب السنية * ونور البصائر لمن وافته العناية بالرتب العلية * وأرسل سحائب الإحسان للعمال فنعم أجر العاملين * أحمده وأشكره على ما أولى من جلائل نعمائه * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله شهاده تغتنم بها مواهب آلائه * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله سيد رسله وأصفيائه * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه إلى يوم الدين (أما بعد فيا عباد الله) قد وردت عليكم أوقات الإحسان فقابلها بحسن القبول * وعظمت لديكم مواهب الحنان فاتبعوها بالشكر الموصول * وانتهت إليكم ساعات الرضوان فاحذروا التكاسل والذهول * وقوموا في مقام الإحسان إن رحمة الله قريب من المحسنين * وأحيوا ليله القدر فإنها خير من ألف شهر كما في محكم الآيات * تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم للسلام على المؤمنين والمؤمنات * فقوموا ليلها فإنها ليلة مغمورة بالخيرات والبركات * ولا يصدنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين * فيها يتجلى الرحمن بجميل الأسماء وصفات الجمال * ويتولى المنان من قام بين يديه اكثر فيها السؤال ....."

. الدراسة الفنية لخطب شهر رمضان :

أ. البناء الفني للخطب والمضمون :

ما زال الشرنوبي يعمد إلى المضمون الموحد في خطب الشهر ، بل يكاد يكون مضمون خطب هذا الشهر مطابق مع مضمون الخطب في شهر شعبان ؛ فالاستهلال يدور حول إحسان الله . تعالى . إلى عباده وجزيل نعمه . تعالى . التي أحاط بها عباده المخلصين له في الطاعة ولا سيما في هذا الشهر المعظم . أما مضمون الخطبة فيدور حول تكاسل العباد عن الطاعة بالرغم من قيمة وأهمية الشهر؛ ويحث الشرنوبي الناس لاستغلال هذه الأيام المباركة

في الطاعات . وفي الختام يختتم الشرنوبي الخطبة بحديث عن الرسول . صلي الله عليه وسلم . يتوافق ومضمون الخطبة .

ب . السمات الفنية :

تعددت السمات الفنية في خطب هذا الشهر واتسمت بالغزارة ؛ حيث أكثر الشرنوبي من استخدام المحسنات البديعية والصور الفنية من أجل الحث على فكرته والتأكيد على مضمون خطبته ؛ ومن تلك السمات الفنية التي تحققت في هذه الخطب ما يأتي :

. السجع :أولى الشرنوبي السجع عناية خاصة ،وكان في طليعة السمات الفنية التي توفرت في عمله الفني ككل ؛ بل كان اللبنة الرئيسة التي بني عليها ديوان خطبه وقد أفلح فيه وأجاد ؛ ومن ذلك قوله في الخطبة الثالثة من رمضان : (قد انتصف موسم البركات وأنتم عن الخيرات قعود * وتشطر شهر الطيبات وأنتم عن الطاعات رقود * فليت شعري أين من شمر للحسنات وخشى النار ذات الوقود) ونجد في هذه الجمل ما يمكن أن نطلق عليه السجع المزدوج حيث لا تقتصر السجعة على الكلمات التي تجيء في نهاية فواصل الجمل بل تمتد إلى كلمات متقابلة بين الجمل بعضها البعض على نحو ما سنبين :

. قد انتصف موسم البركات وأنتم عن الخيرات قعود

. وتشطر شهر الطيبات وأنتم عن الطاعات رقود

. فليت شعري أين من شمر للحسنات وخشى النار ذات الوقود

ففضلا عن السجع بين المفردات في نهاية الفواصل (قعود . رقود . الوقود) فثم سجع في داخل الجمل بين مفردات (البركات . الطيبات . للحسنات) وكذلك بين مفردتي (الخيرات . الطاعات) .

ـ الجناس : جاء الجناس عفوا ولربما كان القصد تحقيق السجع لا الجناس لذا جاء الجناس بسيطا بدون تكلف ، ومن ذلك قوله : (أنتم عن الخيرات قعود ..... أنتم عن الطاعات رقود) فقد وقع جناس بين مفردتي (قعود . رقود) .وكذلك قوله في الخطبة الثانية لشهر رمضان:(الحمد لله الذي أفاض مواهب الإحسان على المقربين من عباده * وأماط حجب الإبعاد عن العباد فسلكوا سبيل رشاده * وأحيا قلوبهم بإماتة النفوس عن الشهوات

فشربوا رحيق وداده)؛ فقد وقع جناس بين المفردات (عباده . رشاده . وداده).

. الطباق : وقع طباق في خطب شهر رمضان في أكثر من موضع ؛ فمن ذلك قوله :

. (هو الذي يحيي ويميت) ولعل هذا الطباق يفيد بقدرة الله عز وجل .

ومن الطباق أيضا قوله :

. الحمد لله الذي أنشأنا من العدم إلى الوجود ؛ والطباق هنا بين مفردتي (العدم والوجود) يركز على المعني السابق من قدرة الله عز وجل على الخلق .

. ومن الطباق أيضا قوله :

ـ وأخرجنا من الظلمات إلى النور : فالطباق بين مفردتي (الظلمات والنور) يبين عطاء الله . تعالى . للبشر بأن هداهم للإسلام . ومن الطباق أيضا قوله :

. وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله سيد من أنذر وبشر ؛ فالطباق هنا وقع بين مفردتي (أنذر وبشر) .

ـ الاستعارة : تعددت المواضع التي وقعت فيها الاستعارة ؛ فمن ذلك قوله : (فشربوا رحيق وداده) حيث شبه الوداد وهو شيء معنوي بشيء مادي يشرب وحذف هذا الشيء المادي وأتي بشيء من لوازمه وهو (شربوا) ؛ ومن الاستعارة أيضا قوله : (أين من لبس درع العبادة) ؛ حيث شبه العبادة بشيء مادي يلبس وحذف هذا الشيء المادي وأتي بشيء من لوازمه وهو (لبس) . ومن الاستعارة أيضا قوله : (قرع باب التفضل) حيث شبه التفضل بشيء مادي له باب وحذف هذا الشيء المادي وأتي بشيء من لوازمه وهو (قرع) . وهكذا تعددت صور السمات الفنية وأشكالها في خطب شهر رمضان بل جاءت غزيرة وكأن الشرنوبي قد تأثر بشهر رمضان فانبرت فيه قريحته ، وسمت به موهبته فأكثر من الصور الفنية والمحسنات البديعية فيها .

عاشرا : خطب شهر شوال [١]:

١. الخطبة الأولى لشوال

يقول الشرنوبي " الحمد لله السميع البصير * الغني عن المعين والوزير * العلي عن الشبيه والنظير * سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا * أحمده وأشكره على ما وهب من الخيرات الحسان * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله الكريم المنان * وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله عظيم الحجة والبرهان * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه ولقنا نظرة وسرورا (أما بعد فيا عباد الله) كيف الركون إلى هذه الدار وإلى الله المصير * وكيف السرور بجمع الأموال وحسابها عسير * وكيف الغرور بتسويل الشيطان وقد قال العليم الخبير يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا * وقد وعظكم مولاكم بتنقلات الشهور وتقلبات الأحوال * وزجركم ونهاكم على مر الدهور عن التقصير في الأعمال * فعليكم بالسمع والطاعة فإنه المعبود لا رمضان ولا شوال * إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا * فأديموا التذلل بين يدي عزته بأنواع العبادة * وأكثروا التوسل بسيد أحباب حضرته يخصكم بالحسنى وزيادة * وأحسنوا القيام بأوامر شريعته يمجدكم بأسباب السيادة * وإن تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا "

٢. الخطبة الثانية لشوال

يقول الفقيه الشرنوبي : " الحمد لله الذي فرض على العباد حج بيته الحرام * ونوع العبادة للعباد فشرعه بعد الصيام * وجعله سببا لرفع الدرجات ومحو الآثام * ليجزي الذين صبروا أحسن أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون * أحمده وأشكره هدى من أراد لسلوك سبيل مرضاته * وأستغفره وأشهد أن لا إلا إله الله المتفضل بجميل هباته * وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله الباهر بمعجزاته * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه عدد ما كان وما يكون (أما بعد فيا عباد الله) إن الله فرض عليكم الحج ووعدكم الثواب وكان وعده مفعولا * وحثكم على إقامة الشعائر وأنزل بذلك القرآن تنزيلا * قال تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا * فأطيعوا الله ورسوله

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٦٤ :٦٩

ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون * وشمروا عن ساعد الجد والعزم والاهتمام * وحرضوا النفوس فربما تعسر الوصول بعد هذه الأيام *وهيئوا نجائب الأشواق لزيارة بيت الله الحرام *ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون * فمن عرف مطلوبه الأسمى سهلت لديه المفاوز والقفار ....."

٣. الخطبة الثالثة لشوال

يقول الفقيه الشرنوبي : "الحمد لله مدبر الأكوان على ما اقتضته الحكمة العلية * مجمل الأحوال لمن تكمل بالأخلاق المرضية * مباعد الأهوال عمن تجامل بالأعمال السنية * له ملك السماوات والأرض وإلى الله ترجع الأمور * أحمده وأشكره على ما تفضل به من جميل المواهب * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تنال بها جليل المطالب * وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله كنز اللطائف والرغائب * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه إلى يوم النشور (أما بعد يا عباد الله) اقتربت الساعة وبدت علامات الرحيل إلى الدار الآخرة * وأزفت الآزفة وليست مطايا الأعمال مع الركبان سائرة * ورجفت الراجفة ولا مفر من المنون فكاسها على العموم دائرة * فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور* أين الملوك الجبابرة وأرباب الدول * أين الليوث الأكاسرة والقياصرة الأول * أبادهم مالك الملك فصاروا عبرة لمن تدبر وامتثل * إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور * فما هذا التغافل عن المآل ولا خلود في هذه الدار * وما هذا التكالب على الأموال والملك لله الواحد القهار.

الخطبة الرابعة لشوال

يقول الفقيه الشرنوبي : " الحمد لله الذي قرب لحضرته من اصطفاه من عباده * وقدم لخدمته من اجتباه بمراده * وأسعد بعزته من انتقاه بإسعاده * لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون * أحمده وأشكره وهدى من أراد إلى صراط مستقيم * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله الحليم الكريم * وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله ذو القلب الرحيم والخلق العظيم * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه كلما ذكرك الذاكرون (أما بعد فيا عباد الله) إلى متى التخلف عن البيت العتيق وقد ناداكم الخليل بأمر الجليل الغافر * حيث قال وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر * وحتام التأخر فرحا بجمع حطام الدنيا وكله إلى الزوال صائر * قل

بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون * وقد تعرض لنيل المبرات من بادر لربح التجارة * وتحقق بلوغ المسرات من عرف مطلوبه ففارق أهله وداره * وقصد زيارة سيد السادات من أراد أن يشاهد أنواره * أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون .....)

. الدراسة الفنية لخطب شهر شوال :

أ . البناء الفني والمضمون :

يبدو أن الشرنوبي قد أدرك مؤخرا قيمة التوافق بين الاستهلال والمضمون والخاتمة ، فالتزم في هذه الخطب بهذا التوافق ؛ فمثلا يتحدث في استهلال الخطبة الثانية لشهر شوال عن الحج في قوله: (الحمد لله الذي فرض على العباد حج بيته الحرام) وحينما يتخلص من الاستهلال بجملته المعهودة (أما بعد فيا عباد الله) يبدأ في سرد مضمون الخطبة والتي بدورها تتحدث عن الحج يقول في مضمون الخطبة : ((أما بعد فيا عباد الله) إن الله فرض عليكم الحج ووعدكم الثواب وكان وعده مفعولا) ويختتم خطبته بحديث رسول الله . صلي الله عليه وسلم . : (من حج لله فلم برفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) [١].

ب . السمات الفنية : أما على صعيد السمات الفنية فلا يمكن أن نغفل الحديث عن أهم ميزة فنية في العمل الأدبي ألا وهي السجع ؛ فمن ذلك قوله في الخطبة الأولي من شوال : (الحمد لله السميع البصير * الغني عن المعين والوزير * العلي عن الشبيه والنظير * سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا) فنجد السجع في نهاية فواصل الجمل بين المفردات (البصير . الوزير . النظير) .وفضلا عن السجع فقد تحققت مجموعة أخري من السمات الفنية أهمها :

. التكرار : فضلا عما يؤديه التكرار من حس موسيقي في العمل الفني فإنه يساعد في البناء الفني للنص الأدبي حيث يؤدي دورا تجديديا في عملية السرد الأدبي ؛ فمن ذلك قوله في الخطبة الأولي لشهر شوال: (كيف الركون إلى هذه الدار وإلى الله المصير * وكيف السرور بجمع الأموال وحسابها

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٦٦

عسير * وكيف الغرور بتسويل الشيطان) فتكرار أداة الاستفهام (كيف) يفيد الاستنكار والرفض لهذا التغافل عن الدنيا ويثير في نفوس السامعين التعجب من أفعالهم . وقد يكون التكرار في المعني فمن ذلك قوله في الخطبة الثالثة لشهر شوال : (اقتربت الساعة وبدت علامات الرحيل إلى الدار الآخرة * وأزفت الآزفة وليست مطايا الأعمال مع الركبان سائرة * ورجفت الراجفة ولا مفر من المنون فكاسها على العموم دائرة) فالجمل الثلاث :

. اقتربت الساعة وبدت علامات الرحيل إلى الدار الآخرة

. وأزفت الآزفة وليست مطايا الأعمال مع الركبان سائرة

. ورجفت الراجفة ولا مفر من المنون فكاسها على العموم دائرة

تدور حول معنى واحد وهو اقتراب يوم القيامة وقد ظهرت العلامات ولا مفر من الموت .ولعل تكرار هذه المعاني يهدف إلى إيقاظ المتلقيين من غفلتهم وحثهم على سرعة الرجوع إلى الله تعالى .

ـ الجناس : ومن ذلك قوله في الخطبة الأولى لشهر شوال : (وقد وعظكم مولاكم بتنقلات الشهور وتقلبات الأحوال * وزجركم ونهاكم على مر الدهور عن التقصير في الأعمال) فنجد جناسا بين مفردتي (الشهور ـ الدهور) وكذلك بين مفردتي (الأحوال . الأعمال) ولا شك أن هذا الجناس يترك أثرا موسيقيا يجذب السامع ، ويجدد طاقته لمواصلة الاستماع للخطبة . ومن الجناس أيضا قوله في الخطبة الثالثة لشهر شوال : (وأزفت الآزفة وليست مطايا الأعمال مع الركبان سائرة

. ورجفت الراجفة ولا مفر من المنون فكاسها على العموم دائرة) فقد وقع جناس بين مفردتي (سائرة . دائرة) .

الاستعارة : تحققت الاستعارة في أكثر من موضع ؛ فمن ذلك قوله في الخطبة الثالثة لشهر شوال: (وأزفت الآزفة وليست مطايا الأعمال مع الركبان سائرة) فقد شبه الأعمال بحيوان يركب وحذف الحيوان وأتي بشيء من لوازمه وهو قوله (مطايا) . ومن الاستعارة أيضا قوله في الخطبة الثالثة لشهر شوال: (ولا مفر من المنون فكاسها على العموم دائرة) حيث شبه المنون بشيء مادي يوضع في الكأس وحذ هذا الشيء المادي وأتي بشيء من لوازمها وهو قوله (فكاسها) .

أحد عشر : خطب ذي القعدة [١] : .

١. الخطبة الأولى لذي القعدة

يقول الفقيه الشرنوبي : " الحمد لله الذي جعل عدة الشهور اثني عشر شهرا في كتاب الله المعظم * منها أربعة حرم ذو القعدة وذو الحجة ورجب والمحرم * وقصد القعدة بأن اعتمر فيه الحبيب الأعظم * وآمنت الجن به فيه ووقاهم عذاب الجحيم * أحمده وأشكره على نعم الإسلام والإيمان * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله العظيم الديان * وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله سيد الإنس والجان * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وعاملنا بفضلك العميم (أما بعد فيا عباد الله) إن الله عظم هذا الشهر فعظم في الجاهلية والإسلام * وجعله مبدأ ميقات الكليم اصطفاه فيه بصفة الكلام * واختاره لاعتمار حبيبه فيه عليه الصلاة والسلام * وقبل فيه المتاب ممن أناب وأتى الله بقلب سليم * وفيه آمنت الجن بسيد الأولين والآخرين * حين سمع القرآن وكانوا من وفد جن نصيبين * فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولّوا إلى قومهم منذرين * قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم * فتيقظوا رحمكم الله وقوموا على قدم السداد وقدموا صالح الأعمال واسلكوا سبيل الرشاد ....."

٢. الخطبة الثانية لذي القعدة

يقول الفقيه الشرنوبي :"الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يتذكر * فكرر الدهور والأعوام عبرة لمن تدبر واستبصر * وقلب الشهور والأيام بشؤون تجلى عن أن تحصر * يقلب الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار * أحمده وأشكره على ما هدانا به من باهر الآيات * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله بارئ الأرض والسماوات * وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله سيد السادات * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه آناء الليل وأطراف النهار (أما بعد فيا عباد الله) قد وضح الحق المبين لمن تبصر وعلم أن ما خلا الله باطل * وقد أقام الدليل القويم على أن كل نعيم لا محالة زائل * وغرتكم الأماني فأصبحت القلوب ما بين لاه وغافل * كذلك

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب : صـ ٦٩ : ٧٤

يطبع الله على كل قلب متكبر جبار * فإلى متى التغافل وما الله بغافل عما تعملون * وحتام التكاسل ولا أمان من ريب المنون * وعلامة الاطمئنان وقد قال الجبار * في كتابه المكنون إنما هذه الحياه الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار * فاتقوا سطوه الجبار وقوا أنفسكم وأهليكم نارا * واستغفروه يمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ....."

٣. الخطبة الثالثة لذي القعدة

يقول الفقيه الشرنوبي : " الحمد لله الذي وفق من أراد لسلوك سبيل مرضاته * وأوقف من ظلم العباد عن الوصول لنعيم جناته * وأقبل على من إليه أناب وأولاه جميل هباته * ووعد من اتقاه بدار السلام كذلك يجزي الله المتقين * أحمده وأشكره على ما وهب من الخيرات الحسان * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله العظيم الديان * وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله حبيب الرحمن * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين (أما بعد فيا عباد الله) تكاثرت الأوزار وقلت الأعمال * وتقاصرت الآجال وطالت الآمال * وتطاولت الفجار وظنه الإهمال * وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين * وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس * ونفق سوق الفسوق والعصيان وعمه الأدناس * وانتشر الربا في الأقطار وتغيرت الأنفاس * وفشت الغيبة والنميمة والله عليم بالظالمين * كيف أنتم إذا نصب الصراط وظهر البأس الشديد * كيف أنتم إذا نشر الكتاب ولا تغني الأعذار ولا تفيد * كيف أنتم إذا ضعف العقاب وقالت جهنم هل من مزيد * كيف أنتم إذا هتكت الأسرار يوم يقوم الناس لرب العالمين ....."

٤. الخطبة الرابعة لذي القعدة

يقول الفقيه الشرنوبي : " الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين * ثم سواه ونفخ فيه من روحه فتبارك الله أحسن الخالقين * لا إله إلا هو وإلى الله ترجع الأمور * أحمده وأشكره على نعمه الباهرة الزكية * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله ذو المواهب السنية * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله صفوة البرية * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه على مر الدهور (أما بعد فيا عباد الله) كم بارزتم بالمعاصي من أبرزكم من العدم إلى الوجود * وذهلتم

عن الأخذ بالنواصي في يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود * وفرحتم بجمع حطام الدنيا والتزود للآخرة هو المقصود * ومرحتم بالعجب والطغيان والله لا يحب كل مختال فخور * كيف طرحتم ما خلقتم لأجله وهو خير مما تجمعون * وتركتم العمل بقوله وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * وتناجيتم بالإثم والعدوان والله عليم بذات الصدور ....."

. الدراسة الفنية لخطب شهر ذي القعدة :

أ . البناء الفني والمضمون :

غلبت المعاني العامة على خطب شهر ذي القعدة ، استهلالا ومضمونا؛ اللهم إلا حديثا موجزا عن مميزات وفضائل شهر القعدة في الخطبة الأولي لشهر ذي القعدة ؛ حيث يقول : (إن الله عظم هذا الشهر فعظم في الجاهلية والإسلام * وجعله مبدأ ميقات الكليم اصطفاه فيه بصفة الكلام * واختاره لاعتمار حبيبه فيه عليه الصلاة والسلام * وقبل فيه المتاب ممن أناب وأتى الله بقلب سليم * وفيه آمنت الجن بسيد الأولين والآخرين) . أما عدا ذلك فالمعاني عامة تصلح لأي حادثة ، فضلا عن تكرار بعض الأساليب التي سبق وتناولها في الخطب السابقة ؛ كقوله في الخطبة الثانية:(فإلى متى التغافل وما الله بغافل عما تعملون * وحتام التكاسل ولا أمان من ريب المنون) وقد سبق وأشرنا لهذا التكرار فهذا الأسلوب موجود سابقا في الخطبة الثانية لجمادي الثاني حيث يقول فيها : (ما هذا التقاعد وزرع الأعمار قد دنى للحصاد * وما هذا التباعد ومدد الأيام قد أذن بالنفاذ * وما هذا التكاسل عن إعداد الزاد ليوم المعاد) ، وموجود في الخطبة الثالثة من جمادي الثاني ؛ حيث يقول : (ما هذا التغافل وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور * وما هذا التكاسل ولا استغناء عن الزاد ليوم النشور * وما هذا التقاعد عن المقاعد والقصور عن القصور * وما هذا التباعد عن تذكر المواعظ والذكرى تنفع المؤمنين). وكم كنت أتمني أن يحاول الشرنوبي الخروج من دائرة التكرار المفرط للأساليب والمعاني التي جعلت من بعض الخطب تشبه بعضها بعضا.

ب . السمات الفنية : أما من جهة السمات الفنية فقد تحققت مجموعة من السمات الفنية أهمها:

السجع : وهو مربط الفرس وبيت القصيد والمقصد الذي قصده فوفي وأوفي وأتى بتلك اللوح الجميلة في جل خطبه ؛ حيث تكرر السجع على ثلاث فواصل ؛ فمن ذلك قوله في الخطبة الثالثة : (الحمد لله الذي وفق من أراد لسلوك سبيل مرضاته * وأوقف من ظلم العباد عن الوصول لنعيم جناته * وأقبل على من إليه أناب وأولاه جميل هباته) .

فنجد السجع قد تحقق في الفواصل الثلاثة بين المفردات (مرضاته . جناته . هباته) . كما تحقق السجع في موضع آخر في نفس الخطبة في قوله : (كيف أنتم إذا نصب الصراط وظهر البأس الشديد * كيف أنتم إذا نشر الكتاب ولا تغني الأعذار ولا تفيد * كيف أنتم إذا ضعف العقاب وقالت جهنم هل من مزيد) ؛ حيث تكرر السجع في نهاية فواصل الجمل الثلاثة بين المفردات (الشديد . تفيد . مزيد) .

. الجناس : كان للجناس نصيب ليس باليسير في خطب هذا الشهر فقد تعددت المواضع التي جاء بها الجناس ؛ فمن ذلك قوله في الخطبة الثالثة : (تكاثرت الأوزار وقلت الأعمال * وتقاصرت الآجال وطالت الآمال) فنجد الجناس بين مفردتي (الآجال . الآمال) . كما جاء جناس في قوله بالخطبة الرابعة : (وفرحتم بجمع حطام الدنيا والتزود للآخرة هو المقصود * ومرحتم بالعجب والطغيان والله لا يحب كل مختال فخور كيف طرحتم ما خلقتم لأجله وهو خير مما تجمعون) فنجد الجناس بين المفردات (فرحتم ـ مرحتم ـ طرحتم) .

. الطباق : كان للطباق حضور ليس بالقليل في خطب الشرنوبي ؛ فقد حاول من خلاله التأكيد على المعاني التي يريد إبرازها ؛فمن ذلك قوله في الخطبة الثانية :(الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يتذكر) ؛ فالطباق بين مفردتي (الليل والنهار) يعكس تتابع الأوقات وسرعتها وقدرة الخالق وإبداعه في خلقه . ومن ذلك أيضا قوله في الخطبة الثالثة :(تكاثرت الأوزار وقلت الأعمال * وتقاصرت الآجال وطالت الآمال) حيث وقعت مقابلة بين (تكاثرت . قلت) ، كما وقعت مقابلة بين (تقاصرت . طالت) ومما لا شك فيه أن الطباق والمقابلة يؤكدان المعني ويكشفان عن المضمون بصورة واضحة . ومن الطباق أيضا قوله في نفس الخطبة : (ظهر الفساد

في البر والبحر) حيث وقع الطباق بين مفردتي (البر والبحر) كما جاء الطباق بين مفردتي (الدنيا والآخرة) في الخطبة الرابعة وذلك لتنبيه السامعين على أهمية إدراك الفرق بينهما وضرورة السعي للآخرة وذلك في قوله في الخطبة الرابعة : (وفرحتم بجمع حطام الدنيا والتزود للآخرة هو المقصود) ومن أجل التأكيد على قدرة الله . تعالى . ووجوب عبادته والتوبة إليه عقد الشرنوبي طباقا بين مفردتي (العدم . الوجود) وذلك في قوله في الخطبة الرابعة : (من أبرزكم من العدم إلى الوجود) .

. اثنا عشر : خطب شهر ذي الحجة [١]:

١. الخطبة الأولى لذي الحجة

يقول الفقيه الشرنوبي : " الحمد لله الذي جعل بيته الحرام قياما للناس وأمنا * وأرشد إليه من اجتباه لطاعته رحمة منه ومنا * وأغدق عليه سحائب الإحسان وهداه إلى مقام خليله الأسنى * لا إله إلا هو يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين * أحمده وأشكره على مواهب الإحسان والإنعام * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله القدوس السلام * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله سيد الأنام * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه ذوي المقام الأمين (أما بعد فيا عباد الله) فاز بنيل الأماني من سارع إلى البقاع الزكية * وتحقق بلوغ التهاني من جد وشاهد الكعبة البهية * وتباعد عن التواني من اشتاق لكؤوس زمزم الهنية * وبذل نفائس الأموال من علم أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين * فهنيئا لهم صافاهم مولاهم وحط عنهم الذنوب والأوزار وباهى بهم ملائكته المكرمين ورفعهم إلى مقام الأبرار * وأعد لهم النعيم المقيم في جنات تجري من تحتها الأنهار * وأولاهم مواهب الإنعام إن الله لا يضيع أجر المحسنين * وقد تباعدتم عن تلك المشاهد الجليلة ورضيتم بأن تكونوا مع الخوالف * وثبتكم الشيطان فوقفتم عن هاتيك المشاعر والمواقف ...."

٢. الخطبة الثانية لذي الحجة

يقول الفقيه الشرنوبي : " الحمد لله الغني الكريم مفيد الإحسان والنعم * العليم الحليم كاشف الكرب والنقم * العزيز الحكيم مبدع الأشياء من العدم *

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٧٥ : ٨٤

سبحانه هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون * أحمده وأشكره على جميع آلائه * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله معز أوليائه * وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله صفوة أصفيائه * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه عدد ما كان وما يكون (أما بعد فيا عباد الله) قد مد لكم مولاكم موائد بره ومواهب أفضاله* وأعد لكم وأولاكم عوائد خيره فما شكرتم جزيل نواله * وأرشدكم إلى سواء السبيل فتخلف كل منكم لتحصيل أموالـه * وفاتكم موسم الحج الشريف وأنتم عنه غافلون * فيا سعادة من على الله الكريم توكل * وفارق الأهل والأوطان وإلى ذي الفضل العظيم تبتل * وخالف النفس والشيطان وبالنبي الجليل توسل * ففاز بشفاعة المختار يوم لا ينفع مال ولا بنون * ويا ندامة المقصرين عن بلوغ طريق الاستقامة * المفرطين في الوصول إلى الحبيب عروس القيامة * أولئك الذين غرتهم الأماني فاستبعدوا الطريق واستحبوا الإقامة ....."

٣. خطبة عيد النحر تكبر تسعا ثم تقول

الله أكبر ما لاحت بوارق الإسعاد على من قصد بيته الحرام * الله أكبر ما دامت لديهم في البر والبحر مواهب ذي الجلال والإكرام * الله أكبر ما صبت عليهم سحائب الإحسان عند اغتسال الإحرام * الله أكبر ما وصلت إليهم ألويه الرضوان عن التجرد عليهم تنشر * الله أكبر (ثلاثا) الله اكبر ما جدوا في المسير حتى شاهدوا الكعبة البهية * الله أكبر ما حطمت ذنوبهم في الحطيم ونالوا المواهب السنية * الله أكبر ما ضجوا بالتلبية إجابة لأذان الخليل في البرية * الله أكبر ما طافوا وسعوا وشربوا من ماء زمزم المطهر * الله أكبر(ثلاثا) الله أكبر ما هامت بهم مطايا الأشواق إلى عرفات * الله أكبر ما ابتهلوا فيه وحطت عنهم جميع السيئات * الله أكبر ما ازدلفوا ووقفوا بمشعر الحرام فارتقوا أعلى الدرجات * الله أكبر ما وصلوا منا ونحروا هداياهم وحلق أو قصر الله أكبر(ثلاثا) الله أكبر ما طافوا الإفاضة بعد الرجوع لأم القرى * الله أكبر ما سعى من لم يقدم السعي وضوعف لهم القرى * الله أكبر ما تباعد عنهم الشيطان الرجيم ورجع القهقرى ....."

٤. الخطبة الرابعة لذي الحجة

يقول الفقيه الشرنوبي : " الحمد لله الذي تفرد بالبقاء فلا آخر لوجوده * وحكم على ما سواه بالفناء وإن طال أمد شهوده * وجعل مر الأعوام دليلا للانقضاء فلا سبيل لجحوده * لا إله إلا هو العزيز الحكيم أحمده وأشكره على نعم لا تحصر * وأستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله الباقي فلا يزول ولا يتغير * وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله سيد من أنذر وبشر * اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم (أما بعد فيا عباد الله) كم وعدكم مولاكم بتنقلات الدهور والأعوام * وزجركم بما أراكم من تقلبات الشهور والأيام * وحذركم ونهاكم عن ارتكاب الذنوب والآثام * وأعلمكم بانقضاء دار الغرور والله بكل شيء عليم * ومع ذلك غرتكم الأماني فضللتم عن سبيل الطاعات * وسلكتم سبل التواني وأكثرتم من المخالفات * وذهلتم عن استعداد الزاد ليوم كثير الحسرات * يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم * يوم يقال للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون * يوم يدعون إلى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون * يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون ....."

الدراسة الفنية لخطب شهر ذي الحجة :

أ . البناء الفني والمضمون :

بالرغم من أن شهر ذي الحجة هو شهر الحج المعظم فلا نجد في استهلال خطب هذا الشهر أي تمهيد عن الحج أو الوقوف بعرفات الله باستثناء الخطبة الثالثة المسماة بخطبة عيد النحر أما الخطب الثلاثة الباقية فلا ذكر في الاستهلال عن الحج أو عرفات أما مضمون الخطب الأربع فيدور حول من فاز بالحج والوقوف على عرفات أو خسران من تقاعس عنه . أما ختام الخطب فكان متصلا بالموضوع فمثلا في نهاية الخطبة الثانية يذكر الشرنوبي قوله . صلي الله عليه وسلكم . :"صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده"[١]

١ عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب صـ ٧٧

ب . السمات الفنية :

تعددت السمات الفنية التي توافرت في الخطبة وكان أبرزها الآتي :

. السجع : التزم الشرنوبي من أول خطبة وحتى آخر خطبة بهذا النهج الذي رسمه في المقدمة من اعتماده السجع في مؤلفه ؛ ففي الخطبة الرابعة يقول : " كم وعدكم مولاكم بتنقلات الدهور والأعوام * وزجركم بما أراكم من تقلبات الشهور والأيام * وحذركم ونهاكم عن ارتكاب الذنوب والآثام * وأعلمكم بانقضاء دار الغرور والله بكل شيء عليم " فنجده التزم بسجعة موحدة في نهاية الفواصل الثلاث (الأعوام . الأيام . الآثام) ثم جاء بآية من القرآن الكريم في الجملة الرابعة . وبهذا لا نجد خروجا عن المنهج الذي ألزم الشرنوبي به نفسه على طول مسار الخطب.

. الجناس : مازال الجناس يلوح في خطب الشرنوبي تارة يظهر قويا وتارة يبدو حضوره ضعيفا لكنه موجود في جل خطبه ؛ ففي خطب هذا الشهر جاء في أكثر من موضع علي سبيل المثال قوله في الخطبة الثالثة : " الله أكبر ما دامت لديهم في البر والبحر مواهب ذي الجلال والإكرام * الله أكبر ما صبت عليهم سحائب الإحسان عند اغتسال الإحرام) فنجد الجناس قد وقع بين مفردتي (الإكرام . الإحرام) ،كما نجد الجناس في قوله في نفس الخطبة : " الله أكبر ما طافوا الإفاضة بعد الرجوع لأم القرى * الله أكبر ما سعى من لم يقدم السعي وضوعف لهم القرى) حيث وقع جناس بين مفردتي (القُري . القِري) ولعل هذا الجناس يجعلنا نشعر بقيمة الشرنوبي الأدبية وموهبته وقدرته اللغوية على استحضار المتشابهات .

التكرار : للتكرار في هذه الخطب دور فريد ولا سيما في الخطبة الثالثة (خطبة عيد النحر) حيث كرر قوله (الله أكبر) في بداية كل جملة على النحو الآتي :

(الله أكبر ما لاحت بوارق الإسعاد على من قصد بيته الحرام * الله أكبر ما دامت لديهم في البر والبحر مواهب ذي الجلال والإكرام * الله أكبر ما صبت عليهم سحائب الإحسان عند اغتسال الإحرام * الله أكبر ما وصلت إليهم ألويه الرضوان عن التجرد عليهم تنشر * الله أكبر (ثلاثا) الله اكبر ما جدوا في المسير حتى شاهدوا الكعبة البهية * الله أكبر ما حطمت ذنوبهم في

الحطيم ونالوا المواهب السنية * الله أكبر ما ضجوا بالتلبية إجابة لأذان الخليل في البرية * الله أكبر ما طافوا وسعوا وشربوا من ماء زمزم المطهر * الله أكبر(ثلاثا) الله أكبر ما هامت بهم.." ولا يخفي ما في هذا التكرار من تعظيم الشعور بالفرحة لهذه المناسبة الدينية العظيمة .

الخاتمة

مما لا شك فيه أن دراسة الفقيه عبد المجيد الشرنوبي الأزهرية كان لها عظيم الأثر في إبداعه سواء في كتابه : تحفة العصر الجديد، ونخبة الأدب المفيد أو في ديوان خطبه ففي كلا العملين تظهر اللغة الرصينة والسجع الذي حضر بقوة في ديوان خطبه وغير ذلك من السمات الفنية من جناس وطباق ومقابلة وتكرار والتي لم يكن حضورها قويا بقدر ما كان حضورا مناسبا لطبيعة العمل الفني ولا سيما الخطابة فاكتفي منها بالقدر الذي يحقق المراد دون لبس أو غموض.

كما كان الشرنوبي على وعي ببناء الخطب الفني من استهلال ومضمون وخاتمة ؛ كما كان على وعي بخطب المناسبات . كخطب العيد . كما كان على وعي بأفضلية الابتعاد عن الاستشهاد بالشعر في خطبه بالرغم من تمكنه من الشعر كما ظهر جليا في كتابه : تحفة العصر الجديد، ونخبة الأدب المفيد .

لم يغرق الشرنوبي أسلوبه في الصور الخيالية لأن الهدف الرئيس من كتابه وديوانه هو النصح والإرشاد والموعظة . فاكتفي بالقدر اليسير من تلك الصور الفنية حتى يصل المعني المراد في وضوح وبساطة وتستطيع جميع الطبقات فهمه .

ظهر جليا الأثر الأزهري فظهرت نزعته الدينية القوية من خلال تأثره الواضح بالقرآن أسلوبا ولفظا ومعنى واستشهادا كما ظهر اطلاعه الوافر بالأحاديث الشريفة التي استشهد بها في كتابيه.

اهتمام الشرنوبي بالسجع جعل القارئ يشعر في قراءة كتبه بأسلوب الكتاب القدماء من أمثال ابن المقع وعبد الحميد الكاتب ومن قبلهم الجاحظ مع الاحتفاظ بالفروق الكبيرة بينهم .

تكررت كثيرا من الألفاظ والمعاني بل والأساليب في خطب الشرنوبي المتفرقة مما يمثل نقطة ضعف في إبداعه الفني حيث يعكس هذا التكرار ضعفا في الإبداع والتجديد في الأسلوب الخطابي .

ثبت المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم :

ثانيا : المصادر

١. عبد المجيد الشرنوبي : تحفة العصر الجديد، ونخبة الأدب المفيد ، مطبعة بولاق الأميرية ط٢ ١٣١٦ هـ

٢. عبد المجيد الشرنوبي : ديوان خطب ، مطبعة بولاق الأميرية ط٥ سنة ١٣١٠

ثالثا : المراجع

١. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ابن منظور : لسان العرب دار صادر بيروت ٢٠٠٣

٢. أبو الثناء شهاب الدين محمود بن سليمان بن فهد الحلبي : حسن التوسل إلى صناعة الترسل تحقيق: أكرم عثمان يوسف ، دار الحرية ، بغداد١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠

٣. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري : صحيح مسلم المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة سنة النشر١٩٥٥

٤. أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا تحقيق : محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت

٥. أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: تحقيق د . أحمد محمد الحوفي، د . بدوي طبانة ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ،الطبعة الأولى ١٣٧٩ هـ/ ١٩٥٩ م.

٦. أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي : ديوان الشافعي ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي القاهرة ط٢ ١٩٨٥

٧. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان تحقيق عبد السلام هارون ط٢، ١٩٦٧م

٨. أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الشهير بالجاحظ / البيان والتبيين الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت

٩. أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ : البيان والتبيين تحقيق : عبد السلام محمد هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٦٠م.
١٠.أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري : كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق : علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة
١١.أبو الحسن حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة دار الغرب الإسلامي ط ٣ ١٩٨٦
١٢.أحمد تيمور :الخزانة التيمورية مطبعة دار الكتب المصرية
١٣.أحمد محمد الحوفي : فن الخطابة ، مطبعة الرسالة، القاهرة، الطبعة الثالثة
١٤.خير الدين الزركلي : الأعلام.. ، دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشرة ، مايو ٢٠٠٢
١٥.عبد الرحمن عيسى : أدب الخطابة الدينية في الدعوة الإسلامية ، دار الإيمان ، بيروت ، الطبعة الأولى١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥
١٦.عبد العاطي محمد شلبي، عبد المعطي عبد المقصود : الخطابة الإسلامية الناشر: المكتب الجامعي الحديث ط ٢٠٠٦
١٧.عبد المتعال الصعيدي : بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة مكتبة الآداب ط ١٧ ٢٠٠٥
١٨.محمد كامل الفقي: الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة ،المطبعة المنيرية بالأزهر الشريف الطبعة الأولي ١٩٥٦
١٩.نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر. منشورات مكتبة النهضة، ط٣، ١٩٦٧م.
٢٠.ياسين نصير، الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع دمشق،. ٢٠٠٩ م